أثر قواعد فهم السنة في التحصين من التطرف

The Impact of the principles of Understanding of Sunnah in Safeguarding Against Extremism

https://aif-doi.org/AJHSS/106902

أ.د.محمد بن بخيت رده الحجيلي*

*عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بحث ممول من عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية

ملخص البحث

بحث أثر قواعد فهم السنة في التحصين من التطرف يعنى ببيان القواعد المعينة على فهم السنة والتي تحصن من الانحراف في فهمها ويهدف إلى:

1- التعريف بعلم قواعد فهم السنة والتأكيد على أهميته.
2- بيان عناية السلف بهذا العلم واستعمالهم له.
3- إبراز القواعد التي قعدها أهل السنة لفهم النصوص وأثر ذلك في الوصول إلى الفهم الصحيح.
4- بيان خطورة الإخلال بالقواعد المعينة لفهم السنة.
5- بيان عناية أهل السنة بالنصوص والتعريف طريقتهم في الاحتجاج بها.
6- بيان موقف أهل البدع من النصوص وطريقتهم في الاستدلال بها وأثر إخلالهم بقواعد فهم السنة في الانحراف عن الصواب.

الكلمات المفتاحية: قواعد- فهم - السنة - تحصين – التطرف.

Abstract

Research on the impact of the principles of understanding sunnah in the safeguarding against extremism, Means: dealing with the helping rules for understand the Sunnah which prevent from deviation in understanding it, and it aims to:

1. Introduction to the science of the principles guiding the understanding of the sunnah and emphasizing its importance.
2. Explanation of the attention the pious predecessors gave this science and their application of it.
3. Revealing the principles established by the people of Sunnah for the understanding of texts and their impacts in reaching the correct understanding.
4. Explanation of the danger of not abiding with the principles related to the understanding of the Sunnah.
5. Explanation of the attention given by the people of Sunnah to texts and an

ISSN : 2410-1818

introduction to their approach in using them as authority.
6. Explanation of the position of the people of heresy on the texts and their approach to using them as authority and the impact of their non-adherence with these principles in understanding the Sunnah and their deviation from the correct path.

Keywords: Principles – understanding – Sunnah – safeguard – extremism.

موضوع البحث ومشكلته، وأسئلته

موضوع البحث هو: **أثر قواعد فهم السنة في التحصين من التطرف**

ويبحث في باب مهم من أبواب علم السنة المرتكز على قواعد تعين على الوصول إلى الفهم الصحيح لنصوص السنة وذلك من خلال استخراج قواعد وأصول من نصوص السنة وآثار السلف وما قعدوه في فهمها وبيان أثر استعمالها في الانضباط المعرفي والوقوف على أثر الإخلال به في عشوائية الاستدلال المؤدي إلى الانحراف عن الجادة والوقوع في التطرف في السلوك.

و أرجو أن يجيب البحث عن مجموعة الأسئلة الآتية:

1- ما هو علم قواعد فهم السنة وما هي أدلته؟
2- ماهي ثمرة هذا العلم؟
3- هل للسلف عناية بهذا العلم؟
4- ما هي منزلة النصوص عند أهل السنة وما هي منزلتها عند مخالفيهم؟
5- كيف يستدل أهل السنة بالنصوص وما هي القواعد التي ساروا عليها في فهمها وما هو أثر ذلك في الوصول للحق؟
6- كيف يستدل أهل البدع بالنصوص وما هي القواعد التي أخلوا بها في فهم النصوص وما هو أثر ذلك في انحرافهم عن الحق وسلوك التطرف؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

1- التعريف بعلم قواعد فهم السنة وبيان أهميته في ضبط فهم النصوص والوصول إلى الفهم الصحيح فيها.
2- عناية السلف بهذا العلم واستعمالهم له.
3- بيان تعظيم أهل السنة للنصوص والحرص على الوصول للحق في فهمها ، وتأصيلهم للقواعد المعينة على ذلك.
4- الوقوف على قواعد في فهم السنة مع ذكر أدلتها وبيان أثرها في الفهم الصحيح.

ISSN : 2410-1818

5- بيان عبث أهل البدع بالنصوص وعشوائيتهم في الاستدلال بها: إما بقبول ما يوافق آرائهم، أو رد ما يخالفها بشتى بوجوه التعنت.

6- الوقوف على عظم تأثير الإخلال بتطبيق قواعد فهم السنة في الوقوع في التطرف.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

1- ضرورة الفهم الصحيح للسنة النبوية.

2- الوقوف على القواعد العلمية التي يعتد بها لفهم السنة فهما صحيحا.

3- ضرورة تحصين الفرد والمجتمع من التطرف بمحاربة أسباب الوقوع فيه.

4- بيان أثر سوء فهم النصوص الشرعية في الوقوع في التطرف.

5- إن عدم معرفة القواعد في فهم السنة سبب في الإخلال بفهم السنة.

الدراسات السابقة:

اعتنى أهل العلم بهذا الجانب من علم الحديث فهذا الإمام المحدث الشافعي يعتبر من أول من صنف في أصول الفقه وهو رافد من روافد علم قواعد في فهم السنة فهو علم اهتم به العلماء واستعملوه في فهم السنة وكذا استعملوه في الرد على المخالف وقد ألف في هذا الكثير، كما ألفوا في علم قواعد فهم السنة استقلالا ومن أجود من كتب في هذا أ.د. سليمان الثنيان في كتابه قواعد في فهم السنة وذكر فيه جملة من القواعد في الباب، لكن بحثي يعنى بإبراز أهمية علم قواعد فهم السنة في فهم النصوص ودوره في صيانة العقول من الوقوع في التطرف الناتج عن الإخلال بهذه القواعد، وسيكون لهذا الأثر البالغ في تحصين الفرد والمجتمع من التطرف.

خطة البحث

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة

أما المقدمة فتضمنت أهمية البحث والأسئلة المراد الجواب عنها والأهداف والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجيته.

تمهيد ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمصطلح قواعد فهم السنة.

المبحث الثاني: أهميه علم قواعد فهم السنة وثمراته.

المبحث الثالث: استعمال السلف للقواعد في فهم السنة.

ISSN : 2410-1818

الباب الأول: منزلة النصوص الشرعية عند أهل السنة ومنهجهم في الاستدلال بها وفيه مبحثان

المبحث الأول: منزلة النصوص الشرعية عند أهل السنة.

المبحث الثاني: طريقة أهل السنة في الاستدلال بالنصوص وأثره في إصابة الحق.

المطلب الأول: طريقة أهل السنة في الاستدلال بالنصوص.

المطلب الثاني: القواعد التي استعملها أهل السنة في فهم السنة و أثره في إصابة الحق.

الباب الثاني: منزلة النصوص الشرعية عند أهل البدع ومنهجهم في الاستدلال بها وفيه مبحثان

المبحث الأول: منزلة النصوص الشرعية عند أهل البدع.

المبحث الثاني: طريقة أهل البدع في الاستدلال بالنصوص وأثره في الوقوع في التطرف.

المطلب الأول: طريقة أهل البدع في الاستدلال بالنصوص.

المطلب الثاني: القواعد التي أخل بها أهل البدع في فهم السنة وأثره في الوقوع في التطرف.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج

منهج البحث:

1- اعتمد في البحث على الاستقراء والتحليل للسنة وآثار السلف للوقوف على أصول الموضوع، وحدوده وما يتعلق به.
2- كتابة الآيات بالرسم العثماني، وذكر الإحالة مع الآية في الأصل.
3- تخريج الأحاديث والآثار وفق المنهج العلمي المتبع.
4- شرح غريب النص، مع ضبط ما يشكل من الألفاظ.
5- الكتابة وفق قواعد الإملاء الحديث، مع الاعتناء بعلامات الترقيم،

الأولوية البحثية

ظاهرة التطرف وركائزه وأخطاره على الفرد والمجتمع

علاقة البحث بالأولوية البحثية

ارتباط البحث بالأولوية البحثية ظاهر من حيث أن موضوعه يبحث في سبب من أسباب الوقوع في التطرف وهو الإخلال بالقواعد التي تمكن المستدل بالنصوص إلى الفهم.

ISSN : 2410-1818

تمهيد ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمصطلح قواعد فهم السنة.

المبحث الثاني: أهميه علم قواعد فهم السنة وثمراته.

المبحث الثالث: استعمال السلف للقواعد في فهم السنة.

تمهيد ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بعلم قواعد فهم السنة

يعرف علم قواعد فهم السنة باعتبارين

الاعتبار الأول التعريف باعتبار أفراده

يتكون هذا العلم من المفردات الآتية:

قواعد: وهو جمع قاعدة وهي أصل الشيء أو أساسه الذي يعتمد عليه تقول " قواعد البيت: أساسه وأصول حيطانه، الواحدة قاعدة. قال الشاعر:

أرْسَى قواعدَه وشَيّد فرعَه... فله الى سَبَبِ السماء سبيلُ

وقال آخر:

إذا الأمورُ اعْرَوْرَتِ الشَّدائدا... أرْسَى البِنا وأثبتَ القواعدا... مِحرابَ حَرْبٍ يَقْرَعُ القَنادِدا[1]

والقاعدة هنا بمعنى الأصل الذي يرجع إليه ويعتمد عليه في الحكم كما سيتضح بيانه

والفهم مأخوذ من قولك: " فهمت الشيء فهما وفهامية: علمته. وفلان فَهْم. وقد استفهمني الشيء فأفهمته، وفهّمته تفهيما. وتفهم الكلام، إذا فهمه شيئا بعد شيء"[2]

وقيل الفهم: تصور المعنى من لفظ المخاطب[3]

والفهم يفارق العلم في أمور منها: أن الفهم هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصة، ولهذا يقال فلان سيء الفهم إذا كان بطئ العلم بمعنى ما يسمع.

ويفارقه: أن الفهم في الكلام دون الفعل، وقيل بل في الكلام والإشارة.

(1) جمهرة اللغة:354/1

(2) الصحاح:53/2

(3) الفروق اللغوية:414

ISSN : 2410-1818

ويفارقه في أن الفهم إدراك خفي دقيق بخلاف العلم، قال سبحانه في قصة داود وسليمان عليهما السلام: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[الأنبياء:79].

فخص الفهم بسليمان، وعمم العلم لداود وسليمان.[4]

والسنة في اللغة: الطريقة المتبعة أو المبتدأة؛ قال المعلمي: " تطلق السنة لغة وشرعاً على **وجهين: الأول**: الأمر يبتدئه الرجل فيتبعه فيه غيره. ومنه ما في صحيح مسلم في قصة الذي تصدق بصرة فتبعه الناس فتصدقوا فقال رسول الله ﷺ: ((من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أ جر من عمل بها...)) الحديث.

والوجه الثاني: السيرة العامة، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى هي التي تقابل الكتاب، وتسمى الهدى.[5]

وفي الاصطلاح عرفت السنة: بأنها ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، خلقية- بكسر الخاء المعجمة- أو خلقية- بضم الخاء المعجمة-أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[6].

من خلال ما تقدم يتبين لنا معنى هذا العلم وأنه يتعلق بالقواعد التي تعين على فهم السنة فهما دقيقا يأمن معه الزلل والخطأ ويكون المستعمل لها أقرب إلى جادة الصواب في فهم النصوص.

تعريف علم قواعد فهم السنة باعتباره عِلما مستقلا:

يمكن تعريفه بأنه العلم الذي يعنى بجمع الأصول التي يتوصل بها إلى فهم المراد من النص النبوي.

وعليه فيكون المراد من هذا العلم: " **معرفة الأصول التي أصلها أهل الاختصاص والتي تعين الناظر في النص النبوي على فهم المراد منه، وضبط هذا الفهم من الانحراف مع الاستفادة قدر الإمكان منه**".

---

(4) الفروق اللغوية:414

(5) الأنوار الكاشفة:19

(6) انظر: قواعد التحديث: ص35-38، السنة ومكانتها في التشريع: ص47، وتوجيه النظر: ص2

ISSN : 2410-1818

المبحث الثاني: أهمية علم قواعد فهم السنة وثمراته

من نعم الله على العباد أن اصطفى من شاء من عباده فأنزل عليهم الوحي ليبلغوه: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة:16].

فالوحي مِنّة من الله على عباده كما ذكر الله في كتابه فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران:164].

وسمي القرآن نورا، لأنه يضيء الحق ويزيل ظلمات الجهل والشك والشرك. قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[النساء:174]

وما دلت عليه هذه الآية ومثيلاتها من الآيات الكريمة من كون هذا القرآن نورا يدل على أنه هو الذي يكشف ظلمات الجهل، ويتميز به الحق من الباطل والهدى من الضلال.

فيجب على كل مسلم أن يستضيء بنوره، فيعتقد عقائده، ويحل حلاله، ويحرم حرامه ويمتثل أوامره ويجتنب ما نهي عنه ويعتبر بقصصه وأمثاله.

والسنة كذلك؛ فهي وحي من الله؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:3-4]، والواجب على العبد الفرح بهذا الخير ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس:58]، فالكتاب والسنة يفرح بها وبسماعها وتعلمها كل مؤمن ؛ عن أنس قال: "قال أبو بكر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها. فلما انتهينا إليها بكت فقالا لها ما يبكيك ما عند الله خير لرسوله ﷺ. فقالت: ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله

ولكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها." [(7)]
فلم تبك أم هاني على وصوله إلينا والوحي موجود لم يرفع لكن أحبت أم هانئ الازدياد من الخير والهدى الحاصل بكثرة نزوله

(7) اخرجه مسلم برقم:(6472)

ISSN : 2410-1818

والوحي رحمة من الله - تعالى - وفضل منه، أخرجهم به من الظلمات إلى النور وهداهم إلى الصراط المستقيم، وأصلح لهم به أمور دنياهم وآخرتهم، فمن اتبعه سعد في حياته وبعد مماته، فقد سماه الله - تعالى -روحاً، ولا حياة إلا بالروح، قال - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:52]

وجعل الله حياة القلوب بهذا الوحي فقال - تعالى -: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:122] ولأهمية هذا الوحي وحاجة العباد إليه، اختار الله صفوة البشر فبعثهم بوحيه إلى الناس، واصطفى للرسالة الخاتمة والمهيمنة أفضل أنبيائه وخاتم رسله محمداً - ﷺ -، فأكرمه بهذه الرسالة، وأكرم أمته من بعده، فنزل عليه الوحي أول ما نزل وهو بغار حراء، فأتاه جبريل بآيات من القرآن الكريم، ثم توقف الوحي وانقطع فترة بعد ذلك، لحكمة أرادها الله - تعالى -، فعن انقطاع الوحي وتوقفه كان هذا المقال الذي بين يديك.

والمسلم يعظم نصوص الوحي ويعدها المصدر للتشريع الذي ينهل منه وتحاكم إليه ويستدل به ويرجع عند الاختلاف إليه ولا يمكن للعبد الأخذ بالنصوص إلا بفهم صحيح وبحسب الفهم للنصوص تكون قوة الاستدلال وجودة الأخذ، فليس كل مستدل بالنص يحسن الاستدلال به فعن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه) [8]. و"الفهم: الفقه، ولا يتم العلم إلا بالفهمِ. ولذلك قال عليﷺ: أَو فهم أعطيه رجل مؤمن".، قال مالك: ليس العلم بكثرةِ الرواية، إنما هو نورٌ يضعه الله في القلوب. يعني بذلك فهم معانيه واستنْباطه، وقد نفى ﷺ العلمَ عمَّن لا فهم له حيثُ قال: (رُبَّ حامِلِ فقهٍ ليس بفقيه)" [9].وقد بوب البخاري في صحيحه بأبواب في كتاب العلم تتعلق بالفهم فقال: " باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين"[10] وذكر حديث معاوية سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ: "من يرد اللَّهُ به خَيْرًا يفقهه في الدين، وإِنَّمَا أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذِه الأُمَّةُ قائمة على أمرِ الله لا يضرهم من خالفهمْ حتى يأتي أمر اللهِ"،ثم قال" باب الْفهمِ في العلم"[11] وذكر حديث مُجَاهِدٍ قَالَ: صَحِبْتُ ابن عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأُتِيَ

(8)أخرجه أبوداود (3660) والترمذي (2656) وابن ماجة (4105) وأحمد (183/5)وهو حديث حسن

(9) التوضيح لشرح الجامع الصحيح 353/3

(10) انظر الصحيح:39/1 وما بعدها

(11) اخرجه مسلم برقم:(6472)

ISSN : 2410-1818

بِجُمَّارٍ فَقَالَ: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ". فَأَرَدْتُ أَنْ أقولَ هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ القَوْمِ فَسَكَتُّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "هِيَ النَّخْلَةُ". ثم بوب "بباب الاغْتِبَاطِ فِي العِلْمِ وَالْحِكْمَةِ"

وذكر حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُل آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا". والاغتباط هنا هو معنى الحسد في الحديث المثير للتنافس وهو الحسد المحمود وهو الذي قصده البخاري " لأن من أوتي مثل هذا ينبغي أن يغبط به وينافس فيه، قَالَ تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} [النساء: 32].

ثمَّ قَالَ: {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} وقد جاء في بعض طرق الحديث ما يبين ذَلِكَ فقال فيه: "فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل" ذكره البخاري في فضائل القرآن في باب: اغْتِبَاطِ صَاحِبِ القُرْآنِ من حديث أبي هريرة [12]، فلم يتمنَّ السلب، وإنما تمنى أن يكون مثله، وقد تمنى ذَلِكَ الصالحون والأخيار" [13]

ولما كانت منزلة العالم بما آتاه الله من الفهم كان الاغتباط به أعظم وللفهم عوامل تعين على إصابته للحق منها:

1- عون الله للعبد وهذا الأمر في غاية الضرورة لطالب العلم أن يعتني به، فلا معين للعبد في الوصول إلى العلم النافع والقول الصائب إلا الله، ولذا أمرنا النبي ﷺ ذلك، فعن جابر قال قال رسول الله ﷺ: (سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع)[14]. قال ابن تيمية: " وبكل حال فالعبد مفتقر إلى الله في أن يهديه ويلهمه رشده"، "وقد يكون الرجل من أذكياء الناس وأحدهم نظرا ويعميه عن أظهر الأشياء، وقد يكون من أبلد الناس وأضعفهم نظرا ويهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فلا حول ولا قوة إلا به

فمن اتكل على نظره واستدلاله أو عقله ومعرفته خذل؛ ولهذا كان النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة كثيرا ما يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) [15]، ويقول في يمينه: (لا ومقلب

(12) برقم 4663

(13) التوضيح لشرح الجامع الصحيح 362/3

(14) وابن ماجه (1263/2، رقم 3843) و ابن أبى شيبة (342/5، رقم 26712)، وعبد بن حميد (ص 330، رقم 1093)، قال البوصيرى (140/4): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وأبو يعلى (437/3، رقم 1927)، والبيهقى فى شعب الإيمان (285/2، رقم 1781).وصححه الألباني:السلسلة الصحيحة برقم (1511)

(15) أخرجه الترمذي: برقم (2066) وابن ماجه برقم: (3832) وأحمد برقم (11883) من طرق عن أنس

ISSN : 2410-1818

القلوب) [16] ويقول: (والذي نفسي بيده) [17] ويقول: (ما من قلب من قلوب العباد إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن وإن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه) [18]

وكان إذا قام من الليل يقول: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) [19] وكان يقول هو وأصحابه في ارتجاجهم:

(اللهم لولا أنت ما اهتدينا... ولا تصدقنا ولا صلينا)

(فأنزلن سكينة علينا... وثبت الأقدام إن لاقينا)

وهذا في العلم كالإرادات في الأعمال فإن العبد مفتقر إلى الله في أن يحبب إليه الإيمان ويبغض إليه الكفر وإلا فقد يعلم الحق وهو لا يحبه ولا يريده فيكون من المعاندين الجاحدين"[20] .

وقال ابن القيم: "ثبت في الصحيحين عنه انه كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم وفي بعض السنن انه كان يكبر تكبيرة الاحرام في صلاة الليل ثم يدعو بهذا الدعاء والهداية هي العلم بالحق مع قصده وإيثاره على غيره فالمهتدي هو العامل بالحق المريد له وهي اعظم نعمة لله على العبد ولهذا امرنا سبحانه ان نسأله هداية الصراط المستقيم كل يوم وليلة في صلواتنا الخمس فإن العبد محتاج الى معرفة الحق الذي يرضى الله في كل حركة ظاهرة وباطنة فإذا عرفها فهو محتاج إلى من يلهمه قصد الحق فيجعل إرادته في قلبه ثم إلى من يقدره على فعله"[21]

فالعبد لا غنى له عن ربه طرفة عين ولا أقل من ذلك وأعظم ما يستعين العبد فيه ربه ما يقربه إليه وأعظم القرب معرفة الحق والعمل به.

2- سلامة القلب من أمراض الشبهات والشهوات، ولما كان الفهم إنما يكون بالقلب قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[الأعراف:179]، وقال: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

(16) أخرجه البخاري برقم: (6155) من حديث ابن عمر

(17) أخرجه البخاري برقم: (13)من حديث أبي هريرة

(18) أخرجه ابن ماجة برقم: (195) وأحمد: (17290) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه

(19) اخرجه مسلم برقم (1295) من حديث عائشة رضي الله عنها

(20) درء تعارض العقل والنقل:382/4

(21) مفتاح دار السعادة:83/1

ISSN : 2410-1818

﴿أَقْفَالُهَا﴾[محمد:24]، كان لسلامته الأثر الكبير فيما يدركه من المعلومات والتصورات على حقيقتها، وأمراض القلوب تفسده وتحرمه العلم النافع، وسر ذلك أن القلب إذا امتلأ بما يفسده لم يعد محلا لما ينفعه قال ابن القيم: "قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده وهذا كما انه في الذوات والأعيان فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات فإذا كان القلب ممتلئا بالباطل اعتقادا ومحبة لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع..."[22] فالشهوات والشبهات تحرم العبد الفهم الصحيح للنصوص ويتضح هذا جليا في حديث حذيفة ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة، مادامت السموات والأرض، والآخر: أسود مربادا، كالكوز مجخيا [23]، لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه،)[24]. فبسبب ما ورد على القلب من الشبهات والشهوات علت على القلب الغشاوة فلم يدرك الحق على صورته الصحيحة فكان مقياس المعروف والمنكر هو ما عرفته نفسه وألفه هواه، لا ما دلت عليه النصوص.

3- سعة العلم فبقدر علم الناظر في النصوص وتنوعه في المعارف تتفتق له من معاني النصوص ما لا يدركه من دونه، فمن تضلع بالعلم في أصوله ومسائله أدرك من النص ما لا يدركه غيره ولذلك قال يحيى بن معين: "لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه" [25] فلا تدرك علة الحديث أو فقهه إلا بجمع طرق الحديث ونظائره في الباب وهكذا في جميع مسائل العلم وأبوابه.

4- بذل الوسع في فهم النص و الاستنباط منه فيجتهد الناظر في النص في فهمه ومعرفة دلالاته، ووجه الاستنباط منه، إذ الاستدلال بالحديث يستلزم معرفة موضع الشاهد، ومن ثم معرفة وجه الاستشهاد بالنص، وسلامته من المعارض وهذا لا شك يحتاج إلى بذل الجهد في إدراكه.

5- معرفة قواعد أهل الفن في فهم النص والاستنباط منه، إذ فهم النصوص لا بد أن يكون وفق قواعد تضبطه وتضمن سلامته من الانحراف والزلل فليس كل فهم للنص يكون معتبرا، والناس يختلفون في قدراتهم وفي مشاربهم ومقاصدهم، وكل سيفسر النص وفق تصوره، ولا شك أن أحد هذه التفاسير هو الحق وما سواه مجانب للصواب، ولا سبيل إلى تقويم الفهوم إلا بقواعد تضبط وتبين صوابه ولذا فإن الاعتناء بمعرفة القواعد المعينة لفهم النصوص في غاية الأهمية وتظهر أهميته من خلال:

---

(22) الفوائد: 39

(23) المجخي المائل عن الاستقامة والاعتدال النهاية في غريب الحديث:242/1

(24) أخرجه مسلم كتاب الإيمان:89/1(386) من طريق سعد بن طارق عن ربعي عن حذيفة به.

(25) تاريخ الدوري:ص4330

ISSN : 2410-1818

- ضبط فهم النص من الخلل كما تقدم ولو كان كل فهم للنص مقبولا لما توقف العلماء عن قبول بعضها ، لكننا نرى العلماء يقبلون أقوالا ويناقشون أقوالا ويردون أقوال لعدم صلاحيتها لتفسير النص ؛ قال الجزائري: وقد أنكر كثير من المحققين كل تأويل بعيد وإن لم يتبين فيه التعسف، حتى توقفوا في كثير من الأخبار التي رواها الثقات لأمر دعاهم إلى ذلك، مع أنهم لو أولوها كما فعل غيرهم لزال سبب التوقف، ولكن لما رأوا التأويل فيها لا يخلو عن بعد لم يلتفتوا إليه"[26].
- حصول الاهتداء بالنص فالنصوص لا تدل إلا على الحق، ومعرفة ذلك لا يتحقق إلا بالقواعد المعينة عليه كمعرفة أنواع دلالات الألفاظ، وما هو المعنى المعتبر في النص ومتى ينظر في النص وما الموقف من تعارض النصوص وكيف يعمل الناظر في النص عند مخالفة النص لأصل شرعي ونحو ذلك، فمتى ما طبق الناظر في النص القواعد المعتبرة حصل له الاهتداء به.
- صيانة النصوص من تلاعب الملبسين وانتحال المبطلين الذين يستدلون بالمتشابه ويردون المحكم ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويتلاعبون به بالنصوص ويفسرونها على أهوائهم وآرائهم.
- تنزيه نصوص الوحي من الباطل فهيهات هيهات أن تدل نصوص الوحي على مقالات أهل البدع وباطلهم.
- الاستفادة من النص الشرعي قدر الإمكان إذ تميزت نصوص الوحي بأنها "جوامع للكلم" أي ذات الألفاظ القليلة التي تحوي المعاني الكثيرة، فالإلمام بقواعد فهم السنة تمكن الناظر في النص الواحد من استنباط الأحكام الكثيرة، أو الجواب عن النوازل أو دفع الشبه.
- جعل الله نصوص الوحي الحكم عند الاختلاف، ولو كان لكل أحد أن يفهم النص حسب ما يشتهي لزاد الخلاف واشتد أمره، إذ كل مخالف يستدل بنص ويدعي أنه على الحق، لكن لما كان فهم النص منضبطا بقواعد أمكننا أن نرجع لها في معرف المراد من النص. فينتفي الخلاف بذلك.

المبحث الثالث: استعمال السلف للقواعد في فهم السنة.

عني السلف بفهم النصوص عناية فائقة، إذ لا يمكن الانقياد للنص والعمل به إلا بفهم صحيح؛ قال عبد الله بن عمر مبينا حال الصحابة في الحرص على فهم النصوص: لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد -ﷺ- فيتعلم حلالها، وحرامها، وآمرها، وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها. كما تعلمون أنتم اليوم القرآن، ثم لقد رأيت اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدرى ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه فينثره نثر الدقل" [27].

---

(26) توجيه النظر: ص 224

(27) السنن الكبرى للبيهقي: 120/3

ISSN : 2410-1818

لذا فإنهم اجتهدوا في حفظ النصوص وفهمها ، وجعلوا لفهم الحديث قواعد يتم بها الوقوف على معانيه وكيفية الاستفادة منه ، ولم يكن فهم السلف للنصوص عشوائيا من غير أصول تمكنهم من الوصول إلى الفهم الصحيح ، وكتاب الشافعي (204) في أصول الفقه خير شاهد على ذلك وهو أول من ألف في أصول الفقه وفيه أبواب تتعلق بفهم السنة خاصة وسأذكر لك أخي القارئ بعض القواعد التي استعملها الصحابة ومن تبعهم بإحسان في فهم نصوص الوحي:

- وجوب الاحتجاج بالسنة وعدم الاكتفاء بالقرآن إذ السنة مبينة للقرآن ومفسرة له فعن عن عمران بن حصين ، أن رجلا أتاه فسأله عن شيء فحدثه ، فقال الرجل: حدثوا عن كتاب اللّٰه ولا تحدثوا عن غيره ، فقال: " إنك امرؤ أحمق ، أتجد في كتاب اللّٰه أن صلاة الظهر أربعا لا يجهر فيها ، وعدد الصلوات وعدد الزكاة ونحوها ، ثم قال: أتجد هذا مفسرا في كتاب اللّٰه ، إن اللّٰه قد أحكم ذلك والسنة تفسر ذلك " [28]

وقال الأوزاعي , عن أيوب السختياني أنه قال: " إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وحدثنا من القرآن , فاعلم أنه ضال مضل قال الأوزاعي: يقول اللّٰه تعالى {وما آتاكم الرسول فخذوه} [الحشر: 7] و {من يطع الرسول فقد أطاع اللّٰه} [النساء: 80] ويدعوه إلى تأويل القرآن برأيه "[29]

- التسليم التام للنص من غير معارضة له بالرأي أو العقل والقياس؛ عن عمر ﷺ : أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقالك " إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك" [30]

قال ابن حجر: " في قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الأتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهو قاعدة عظيمة في أتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه"[31]

- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ عن عبد اللّٰه بن معقل قال : جلست إلى كعب بن عجرة ﷺ سألته عن الفدية فقال: " نزلت في خاصة وهي لكم عامة حملت إلى رسول اللّٰه ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال (ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى أو ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى تجد شاة). فقلت: لا ، فقال: (فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع) [32]

(28) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم:(234) والخطيب في الكفاية
(29) أخرجه الخطيب في الكفاية:ص 16
(30) أخرجه البخاري برقم (1520)
(31) فتح الباري:463/3
(32) أخرجه البخاري برقم: (1720)

ISSN : 2410-1818

قال ابن دقيق العيد: قوله " نزلت في " يعني آية الفدية. قوله " خاصة " يريد اختصاص سبب النزول به. فإن اللفظ عام في الآية لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾[البقرة:184]

وهذه صيغة عموم." [33]

وهي قاعدة من قواعد فهم السنة ويعبر عنها " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"

وقد حكى أبو يعلى الفراء في كتابه العدة إجماع الصحابة على مسائل وأنواع من دلالات الألفاظ مما استعمله الصحابة في العمل بالنصوص[34].

الباب الأول: منزلة النصوص الشرعية عند اهل السنه ومنهجهم في الاستدلال بها وفيه مبحثان

المبحث الأول: منزلة النصوص الشرعية عند أهل السنة

تعتبر النصوص الشرعية وهي الكتاب والسنة مصدر التلقي عند أهل السنة، فهي وحي من الله عز وجل منزل منه، و له من الخصائص ما يفارق به خصائص كلام البشر؛ فالواجب على العبد تعظيم هذا النص وإجلاله وتقديمه على كل قول أو رأي؛ قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الحُجُرات:1].

أي: لا تقولوا حتى يقول ولا تأمروا حتى يأمر ولا تفتوا حتى يفتي ولا تقطعوا أمرا حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضيه؛ روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ:" لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة"، وقال مجاهد: "لا تفتاتوا [35]على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسان رسوله"([36])، فإذا قال المرء قولاً ولم يتبع فيه كتاب الله أو سنة رسوله –ﷺ- فهو مفترٍ على الله، قال الله –تبارك وتعالى-، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[النحل:116]

(33) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام:57/2

(34) انظر العدة في أصول الفقه:189/1، 235، 426/2

(35) صحيح البخاري برقم: 1832/4

(36) لا تفتات لا تفعل الشيء دون أمره. لسان العرب:69/3

ISSN : 2410-1818

قال ابن القيم: " والقول الجامع في معنى الآية لا تعجلوا بقول ولا فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الحُجُرات:2].

فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببا لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه أليس هذا أولى أن يكون محبطا لأعمالهم" [37] ، فالأخذ بكتاب الله وبسنة رسول الله –ﷺ – واجب ليس لك فيه خيار، ومن عمد إلى عقله ضل، و من عمد إلى رأيه هلك، ومن أخذ بكتاب الله وسنة رسوله –ﷺ – فهو السالم الناجي، قال مالك – رحمه الله– : " السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق " والناظر في سيرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام والسلف الصالحين يرى كيف كانوا يعظمون النصوص ويقفون عندها ولا يخالفونها ثبت في الصحيحين عن ابن عباس: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك ابن سحماء فقال النبي ﷺ: (البينة أو حد في ظهرك). فقال: يا رسول الله" إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي ﷺ يقول: (البينة وإلا حد في ظهرك). فقال هلال والذي بعثك بالحق إني لصادق فلينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[النور:6].

- فقرأ حتى بلغ - ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[النور:9]

. فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول (إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب). ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها موجبة. قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي ﷺ (أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء).فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ: (لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن) [38] .

فامتنع النبي –ﷺ – أن يقيم عليها الحد لآية اللعان؛ قال ابن حجر: أي لولا ما سبق من حكم الله أي أن اللعان يدفع الحد عن المرأة لأقمت عليها الحد من أجل الشبه الظاهر بالذي رميت به ويستفاد منه أنه ﷺ كان يحكم بالاجتهاد فيما لم ينزل عليه فيه وحي خاص فإذا انزل الوحي بالحكم في تلك

(37) أعلام الموقعين: 51/1

(38) أخرجه البخاري برقم: برقم (4470)

ISSN : 2410-1818

المسألة قطع النظر وعمل بما نزل وأجرى الأمر على الظاهر ولو قامت قرينة تقتضي خلاف الظاهر"[39]، ففي الحديث تعظيم النص والرجوع إليه وترك ما سواه.

وفي الصحيحين عن ابن عمر ﷺ قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد فقيل لها لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار ؟ قالت وما يمنعه أن ينهاني ؟ قال يمنعه قول رسول الله ﷺ: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) [40].

فالذي منع عمر أن يمنع امرأته من الخروج للمسجد مع شدة غيرته هو النص، فإذا جاء النص وجب قطع كل نظر أو قول أو رأي، والتسليم التام له؛ إذ هو الحق الذي لا محيد عنه

فمتى ما بلغ المرء نص من النصوص وجب عليه الأخذ به وترك ما سواه، جلس مالك بن أنس – ﷺ-في مجلس فيسأل عن تخليل أصابعه فلا يفتي فيه بشيء، و عبدالله بن وهب في مجلسه، فلما خرج الناس وانقضى المجلس قام عبدالله بن وهب فقال: "إن لهذا عندنا سنة، وذكر له حديث رسول الله ﷺ وخلل بين الأصابع: ((وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً)) قال عبدالله بن وهب: فرأيت مالكاً يفتي فيه بعد ذلك"[41]،

والالتزام بالنص والتحاكم إليها دليل على الإيمان قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء:65]؛ قال الشنقيطي: "ففي الإيمان حتى يوجد تحكيمه وحده، وهو تحكيمه في حال حياته وتحكم سنته فقط بعد وفاته"[42]

وقال أيضا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء:65]؛أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم رسوله ﷺ في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهرا وباطنا ويسلمه تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، وبين في آية أخرى أن قول المؤمنين محصور في هذا التسليم

(39) فتح الباري /462

(40) أخرجه البخاري برقم: (858)

(41) مقدمة الجرح والتعديل:ص 31

(42) أضواء البيان: 135/5

ISSN : 2410-1818

الكلي، والانقياد التام ظاهرا وباطنا لما حكم به ﷺ وهي قوله تعالى:﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[النور:51]" [43] .

- وبه يخص الاهتداء ولا اهتداء إلا به، فعن أبي الدرداء –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها) وهو حديث حسن أخرجه ابن ماجه، وعن العرباض بن سالم –رضي الله عنه- قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، كأنها وصية مودع أو كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال ﷺ في وصيته: (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، فمن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم المخرج عليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ) [44] ، قال أبو حنيفة النعمان –رحمه الله-: إياكم والقول في الدين بالرأي، وعليكم باتباع السنة فمن خرج عنها ضل.
- الوقوف عند النصوص والعمل بموجبها دليل على صحة القلب؛ قال ابن القيم: " فالقلب الصحيح السليم: ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه فهو صحيح الإدراك للحق تام الانقياد والقبول له، والقلب الميت القاسي: لا يقبله ولا ينقاد له" [45]

مما تقدم يرى الناظر في الكتاب والسنة حتمية الأخذ بهما وتحريم الحياد عنهما

وقد جاءت النصوص بالتحذير من مخالفة النصوص:

- قال الله –عز وجل-: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:63] قال الإمام أحمد:" الفتنة الشرك لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلكه" [46]

(43) أضواء البيان: 51/5

(44) أخرجه ابن ماجه برقم (5) وأحمد: (16811) والحاكم: (302) من طرق وهو حديث صحيح

(45) إغاثة اللهفان: 10/1

(46) شرح الإبانة الكبرى: 17/2

ISSN : 2410-1818

و المخالفة لأمر الله وأمر رسوله –ﷺ - لا تخلو من ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: أن تكون مخالفة عن جهل، فيخالف الرجل أمر الله أو أمر رسوله –ﷺ - ولم يعرف ما هو أمر الله وما هو أمر رسولهﷺ.

الحالة الثانية: تكون المخالفة عن اجتهاد، فإذا أمر الله –ﷻ- بأمر أو أمر النبي ﷺ بأمر فإن لهذا الأمر حقيقة، ومراد الشارع منه شيء واحد، فمن الناس من يفهم مراد الله ومراد رسوله –ﷺ -ومن الناس من يخطئ، فتكون المخالفة عن اجتهاد، لا عن تعمد. فهو مأجور لقول النبي ﷺ: (إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإن اجتهد فأصاب فله أجران) فهو بين أجر وأجرين

الحالة الثالثة: أن تكون المخالفة عن إعراض، فيخالف النص لشهوة أو لقول إمام متبوعة، وهذا هو الذي جاء فيه وعيد، فقوله ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم ﴾[النور:63] أي حال كونهم معرضين.

- عن أبي هريرة ﷺ: ((ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)) ثم قال ﷺ: ((فإنما أهلكوا من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم)) إذاً ترك السنة ومخالفة النبي –ﷺ - سبب للهلاك، من ترك سنة نبينا –ﷺ - فقد هلك، قال أحمد: من رد حديث رسول الله –ﷺ - فهو على شفا هلكة، وقال: "إسحاق بن راهوية من بلغه عن رسول الله خبر يقر بصحته ثم رده بغير بينة فهو كافر" وقال السيوطي: " اعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولا كان أو فعلا بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر، وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى أومن شاء من فرق الكفرة"[47]

ولذلك حذر الصحابة ومن جاء بعدهم من ترك نصوص الوحي والأخذ بأقوال الرجال أو آرائهم؛ قال ابن عباس ﷺ " أما تخافون أن تعذبوا، أو يخسف بكم، أن تقولوا: قال رسول الله ﷺ، وقال فلان؟ "[48]

ويشتد نكيرهم على من خالف السنة من ذلك ما رواه سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول « لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها ». قال فقال

(47) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة:ص 14

(48) أخرجه الدارمي: برقم: (431)

ISSN : 2410-1818

بلال بن عبد الله والله لنمنعهن. قال فأقبل عليه عبد الله فسبه سبا سيئا ما سمعته سبه مثله قط وقال أخبرك عن رسول الله -ﷺ- وتقول والله لنمنعهن"[49].

المبحث الثاني: طريقة أهل السنة في الاستدلال بالنصوص وأثره في إصابة الحق:

المطلب الأول: طريقة أهل السنة في الاستدلال بالنصوص

سار أهل السنة والجماعة على طريقة واحدة في النصوص وهي تعظيم النص، واعتقاد وجوب تقديمة وترك كل ما سواه، مما يخالفه أو يعارضه وكانت هذه هي طريقتهم لأمرين:

الأول: ما تقدم من الأدلة على وجوب الأخذ بنصوص الوحي وترك ما سواه، والتحذير من مخالفة ذلك قال ابن تيمية: "جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريقِ السعادة والنجاة، وطريقِ الشقاوة والهلاك أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم هل وافقه أو خالفه، لكون ذلك الكلام مجملا لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده، ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه، فإنه يمسك فلا يتكلم إلا بعلم وهذا ما درج عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم"[50]

الأمر الثاني: ما تميزت به نصوص الوحي في الدلالة على الحق مما لا يوجد في غيره من أنواع الأدلة فقد تميز الوحي كتابا وسنة بعدة مميزات منها:

1- أنه منزل من عند الله ووحي منه وهذا يعني أن له خصائص تفارق خصائص كلام البشر إذ وحي الله مضاف إليه وله من الكمال والتمام الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا وله الرونق والجمال والجلال وكثرة الخير والبركة وما لا يعتقد في غيره؛ عن ابن عباس ﷺ: "أن الوليد بن المغيرة جاء رسول الله - ﷺ -، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقد له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال :يا عم، إنّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا فقال :لِمَ؟ قال :ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرض ما قبله. قال :قد علمت قريش أني من أكثرها مالًا.قال :فقل فيه قولًا يبلغ قومك إنك منكر له.

قال : وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله إنّ لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن

(49) أخرجه البخاري برقم: (858) ومسلم برقم: (1017) واللفظ له

(50) مجموع الفتاوى:135/13

ISSN : 2410-1818

عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله؛ لأنه ليعلو ولا يعلى؛ لأنه ليحطم ما تحته .قال :لا يرض عنك قومك حتى تقول فيه.

قال :قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكَّر، قال :إن هذا إلا سحر يؤثر. يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا *وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا *وَبَنِينَ شُهُودًا *وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴾[المدَّثر:14] (51)

2-أن النصوص محفوظة بحفظ لله قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحِجر:9]، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي نزل القرآن العظيم وأنه حافظ لما نزل من أن يزاد فيه أو ينقص أو تغير أو يبدل، وتدخل فيذلك السنة فالسنة محفوظة إذ هي من جملة ما أنزل على محمد من الوحي، كما أنها مبينة للقرآن شارحة له؛ قال ابن حزم: "فإن قال قائل إنما عنى تعالى بذلك القرآن وحده فهو الذي ضمن تعالى حفظه لسائر الوحي الذي ليس قرآنا قلنا له وبالله تعالى التوفيق هذه دعوى كاذبة مجردة من البرهان وتخصيص للذكر بلا دليل وما كان هكذا فهو باطل لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:111]

فصح أن لا برهان له على دعواه فليس بصادق فيها والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن أو من سنة وحي يبين بها القرآن وأيضا فإن الله تعالى يقول: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44].

فصح أنه ﷺ مأمور ببيان القرآن للناس"(52)

3- أن النصوص حق فلا يدل إلا على الحق، وبأي أنواع الدلالات استدللت بها أفادتك حكما قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾[الإسراء:105].

وقال سبحانه: ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيد ﴾[فُصِّلَت:42]

(51) أخرجه الحاكم: ٢/ ٥٠٧، وقال صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه

(52) الإحكام:599/1

ISSN : 2410-1818

فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا أنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺبشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني الا حق)[53]

4- أن الكفاية حاصلة بهذا الوحي فهو كاف مغن عما سواه قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت:51].

قال ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ* اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:3]ففرض اتباع ما أنزله من الكتاب والحكمة وحظر إتباع أحد من دونه وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت:51] فزجر من لم يكتف بالكتاب المنزل"[54]

وقال أيضا: " بل قد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن المسيح عيسى ابن مريم إذا نزل من السماء فإنه يكون متبعا لشريعة محمد بن عبد الله ﷺ فإذا كان ﷺ يجب اتباعه ونصره على من يدركه من الأنبياء. فكيف بمن دونهم ؟ بل مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز لمن بلغته دعوته أن يتبع شريعة رسول غيره كموسى وعيسى. فإذا لم يجز الخروج عن شريعته إلى شريعة رسول فكيف بالخروج عنه ؟".....وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال: أمتهوكون [55] يا ابن الخطاب ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم) [56] وفي مراسيل أبي داود (أن النبي ﷺ رأى مع بعض أصحابه شيئا من كتب أهل الكتاب فقال كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابا غير كتابهم أنزل إلى نبي غير نبيهم)" [57]

(53) أخرجه أبو داود:برقم (3648) وأحمد:(6510) وهو حديث صحيح

(54) الفتاوى:67/19

(55) أ متحيرون في الإسلام. النهاية في غريب الحديث:29/2

(56) هو المسند برقم: (14859)

(57) الفتاوى:424/11

ISSN : 2410-1818

فلا يسعنا جميعا إلا اتباع الكتاب والسنة والاكتفاء بها، قال أحمد في مناظرته لابن أبي دؤاد : هل معك في هذا كتاب أو سنة؟ فقال ابن أبي دؤاد: وأنت لا تقول إلا بما في الكتاب والسنة؟ فقال رحمه الله: "وهل يقوم الإسلام إلا بالكتاب والسنة"

قال أبو المظفر السمعاني بعد كلام له عن مسلك أهل الأهواء: "وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم، وطلبوا الدين من قِبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقًا لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووقفهم عليه، وإن وجدوه مخالفًا لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم"[58]

5-ومن خصائص الوحي أنه مزيل للشك والريب مورث لليقين {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِين} [البقرة:2] وقوله تعالى: {فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك} الآية، نهى الله في هذه الآية الكريمة عن الشك في هذا القرآن العظيم، وصرح أنه الحق من الله.[59]

وقال سبحانه ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد:28]؛ قال الشنقيطي: "أن الطمأنينة بذكر الله تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد، وصدق ما جاء به الرسول ﷺ فطمأنينتهم بذلك قوية لأنها لم تتطرقها الشكوك، ولا الشبه"

وقال ابن القيم ولهذا ندب الله ﷻ عباده إلى تدبر القرآن فإن كل من تدبره أوجب له تدبره علما ضروريا ويقينا جازما أنه حق وصدق بل أحق كل حق وأصدق كل صدق وأن الذي جاء به أصدق خلق الله وأبرهم وأكملهم علما وعملا ومعرفة كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[النساء:82]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[محمد:24] فلو رفعت الأقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن واستنارت فيها مصابيح الإيمان وعلمت علما ضروريا يكون عندها كسائر الأمور الوجدانية من الفرح والألم والحب والخوف أنه من عند الله تكلم به حقا وبلغه رسوله جبريل عنه إلى رسوله محمد فهذا الشاهد في القلب من أعظم الشواهد وبه احتج هرقل على أبي سفيان حيث قال له فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فقال لا فقال له

(58) انظر الحجة في بيان المحجة:238/2

[59] أضواء البيان 18/12

ISSN : 2410-1818

وكذلك الإيمان إذا خالطت حلاوته بشاشة القلوب لا يسخطه أحد وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى في قوله: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[العنكبوت:49]

وقوله: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد ﴾[سبأ:6]، ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾[الرعد:19].

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَاب﴾[الرعد:27]؛ يعني أن الآية التي يقترحونها لا توجب هداية بل الله هو الذي يهدي ويضل ثم نبههم على أعظم آية وأجلها وهي طمأنينة قلوب المؤمنين بذكره الذي أنزله فقال الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله أي بكتابه وكلامه ألا بذكر الله تطمئن القلوب فطمأنينة القلوب الصحيحة والفطر السليمة به وسكونها إليه من أعظم الآيات إذ يستحيل في العادة أن تطمئن القلوب وتسكن إلى الكذب والافتراء والباطل.

وقال في تفسير الآية السابقة القول الثاني: أن ذكر الله ههنا القرآن وهو ذكره الذي أنزله على رسوله به طمأنينة قلوب المؤمنين فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه، واضطرابه وقلقه من شكه، والقرآن هو المحصل لليقين الدافع للشكوك والظنون والأوهام، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به، وهذا القول هو المختار. أ.هـ والقول الأخر المقصود طمأنينة العبد عند ذكر الله.

قال ابن القيم: " نهاية أمر هؤلاء المعارضين لنصوص الوحي بالرأي انتهاؤهم إلى الشك والتشكيك والحيرة في أمرهم فتجدهم يشكون في أوضح الواضحات وفيما يجزم عوام الناس به ويتعجبون ممن يشك فيه ولا تعطيك كتبهم وبحوثهم إلا الشك والتشكيك والحيرة والإشكالات وكلما ازددت فيها إمعانا ازددت حيرة وشكا حتى يؤول بك الأمر إلى الشك في الواضحات"[60]

6- أنه محكم قال ابن القيم: فأما الرسالة فإنها جاءت بإثبات الصفات إثباتا مفصلا على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء وحصل العلم اليقيني ورفع الشك والريب فثلجت له الصدور واطمأنت به القلوب واستقر به الإيمان في نصابه ففصلت الرسالة الصفات والنعوت والأفعال أعظم من تفصيل الأمر والنهي وقررت إثباتها أكمل تقرير في أبلغ لفظ وأبعده من الإجمال والاحتمال وأمنعه من

(60) الصواعق: 851/2

ISSN : 2410-1818

قبول التأويل، ﴿ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾[الحج:52]، فجعل جميع الآيات محكمة محكمها ومتشابهها كما قال: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:1]،وقال أيضا قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:52]، وقال﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾[الأعراف:53] فقد أخبر أنه فصل الكتاب وتفصيله بيانه وتمييزه بحيث لا يشتبه.

وقال القرطبي: " وأحسن ما قيل في معنى {أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} قول قتادة ؛ أي جعلت محكمة كلها لا خلل فيها ولا باطل. والإحكام منع القول من الفساد ، أي نظمت نظما محكما لا يلحقها تناقض ولا خلل

وقال السمين الحلبي: " ويجوز أنْ يكونَ من قولهم: « أَحْكَمْتُ الدابة » إذا وَضَعْتَ عليها الحَكَمَةَ لَمْنِعِها من الجِماح كقول جرير:

أبني حَنِيْفَةَ أَحْكِموا سُفَهاءَكمْ ... إني أخافُ عليكمُ أَنْ أَغْضبا

فالمعنى أنها مُنِعَتْ من الفساد. ويجوز أَنْ يكونَ لغير النقل، مِن الإحكام وهو الإتقان كالبناء المُحْكَمِ المُرْصَفِ، والمعنى: أنهى نُظِمَتْ نَظْماً رصيناً متقناً " [61].

وقال المعلمي في التنكيل:"المحكم و المتشابه كثير من المتعمقين يسترون تكذيبهم للنصوص بدعوى أن ما يخالفونه منها هو من المتشابه المنهي عن إتباعه، وقد كثر الكلام في المحكم و المتشابه، وسألخص ما بان لي راجياً من تعالى التوفيق: المعنى المتبادر إلى الذهن من كلمتي محكم و متشابه أن الحكم هو المتقن الذي لا خلل فيه، والمتشابه هو الذي يشبه بعضه بعضاً، والقرآن كلام رب العلمين، أحكم الحاكمين، العليم القدير، فلابد أن يكون كله محكماً، وينبغي أن يعلم إحكام الشيء يختلف باختلاف ما أعد له، ففي البناء يختلف الإحكام في الحصن و دار السكنى و قصر النزهة، وهكذا يختلف الإحكام في حجر الدار الواحدة كالمجلس و المخزن و الحمام، ويختلف المعد لغرض واحد باختلاف الأحوال، فالمجلس الذي يصلح للشتاء قد لا يصلح للصيف، و الذي يصلح للصيف في بلد لا تكون فيه السموم قد لا يصلح في بلد تكون فيه، و هكذا الكلام كما يقوله البيانيون في تفسير البلاغة، فمهما يكن في بعض الآيات مما يزعمه بعض الناس خللاً فهو بالنظر إلى ما أعدت

(61) الدر المصون:278/3

ISSN : 2410-1818

له الآية عين الإحكام.و هناك صفات تشترك فيها آيات القرآن كالإحكام و الصدق و غير ذاك من الصفات المحمودة، فيصح أن يقال: إن القرآن كله متشابه كما أنه كله محكم، و قد وصفه الله تعالى بهذين الوصفين، قال تعالى: [الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] فاتحة سورة (هود).

وقال عز و جل: [وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ] فاتحة سورة (يّس).

وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾[الزُّمَر:23]..." (62)

وقال ابن تيمية" أن الله وصف القرآن كله بأنه محكم وبأنه متشابه وفي موضع آخر جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه فينبغي أن يعرف الإحكام والتشابه الذي يعمه ؛ والإحكام والتشابه الذي يخص بعضه قال الله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:1] فأخبر أنه أحكم آياته كلها , وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾[الزُّمَر:23] فأخبر أنه كله متشابه والحكم هو الفصل بين الشيئين فالحاكم يفصل بين الخصمين, والحكم فصل بين المتشابهات علما وعملا إذا ميز بين الحق والباطل والصدق والكذب والنافع والضار وذلك يتضمن فعل النافع وترك الضار فيقال: حكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يديه وحكمت الدابة وأحكمتها إذا جعلت لها حكمة وهو ما أحاط بالحنك من اللجام وإحكام الشيء إتقانه فإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره وتمييز الرشد من الغي في أوامره , والقرآن كله محكم بمعنى

الإتقان فقد سماه الله حكيما بقوله: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[يونس:1]

فالحكيم بمعنى الحاكم ؛ كما جعله يقص بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[النمل:76], وجعله مفتيا في قوله: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾[النساء:127]،أي ما يتلى عليكم يفتيكم فيهن وجعله هاديا ومبشرا في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:9]، وأما التشابه الذي يعمه فهو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء:82]،

وهو الاختلاف المذكور في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ* يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾[الذاريات:9].

(62) التتكيل:514/1

ISSN : 2410-1818

فالتشابه هنا: هو تماثل الكلام وتناسبه: بحيث يصدق بعضه بعضا ؛ فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر ؛ بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته ؛ وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر بل ينهى عنه أو عن نظيره أو عن ملزوماته إذا لم يكن هناك نسخ وكذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك بل يخبر بثبوته أو بثبوت ملزوماته وإذا أخبر بنفي شيء لم يثبته بل ينفيه أو ينفي لوازمه بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضا فيثبت الشيء تارة وينفيه أخرى أو يأمر به وينهى عنه في وقت واحد ويفرق بين المتماثلين فيمدح أحدهما ويذم الآخر فالأقوال المختلفة هنا: هي المتضادة. والمتشابهة: هي المتوافقة وهذا التشابه يكون في المعاني وإن اختلفت الألفاظ فإذا كانت المعاني يوافق بعضها بعضا ويعضد بعضها بعضا ويناسب بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض ويقتضي بعضها بعضا: كان الكلام متشابها ؛ بخلاف الكلام المتناقض الذي يضاد بعضه بعضا فهذا التشابه العام: لا ينافي الإحكام العام بل هو مصدق له فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضا لا يناقض بعضه بعضا بخلاف الإحكام الخاص ؛ فإنه ضد التشابه الخاص والتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر بحيث يشتبه على بعض الناس إنه هو أو هو مثله وليس كذلك والإحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر وهذا التشابه إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما فيكون مشتبها عليه ومنهم من يهتدي إلى ذلك ؛ فالتشابه الذي لا يتميز معه قد يكون من الأمور النسبية الإضافية بحيث يشتبه على بعض الناس دون بعض ومثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يزيل عنهم هذا الاشتباه كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشهدونه في الدنيا فظن أنه مثله فعلم العلماء أنه ليس مثله وإن كان مشبها له من بعض الوجوه ومن هذا الباب الشبه التي يضل بها بعض الناس وهي ما يشتبه فيها الحق والباطل حتى تشتبه على بعض الناس ؛ ومن أوتي العلم بالفصل بين هذا وهذا لم يشتبه عليه الحق بالباطل والقياس الفاسد إنما هو من باب الشبهات لأنه تشبيه للشيء في بعض الأمور بما لا يشبهه فيه فمن عرف الفصل بين الشيئين: اهتدى للفرق الذي يزول به الاشتباه والقياس الفاسد ؛ وما من شيئين إلا ويجتمعان في شيء ويفترقان في شيء فبينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه فلهذا كان ضلال بني آدم من قبل التشابه والقياس الفاسد لا ينضبط كما قال الإمام أحمد: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس؛ فالتأويل: في الأدلة السمعية , والقياس: في الأدلة العقلية وهو كما قال والتأويل الخطأ إنما يكون في الألفاظ المتشابهة , والقياس الخطأ إنما يكون في المعاني المتشابهة وقد وقع بنو آدم في عامة ما يتناوله هذا الكلام من أنواع الضلالات حتى آل الأمر إلى من يدعي التحقيق والتوحيد والعرفان منهم إلى أن اشتبه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود فظنوا أنه هو فجعلوا وجود المخلوقات عين

ISSN : 2410-1818

وجود الخالق مع أنه لا شيء أبعد عن مماثلة شيء وأن يكون إياه أو متحدا به، أو حالا فيه من الخالق مع المخلوق فمن اشتبه عليه وجود الخالق بوجود المخلوقات"[63]

7- مما تميز به الوحي أن الاهتداء الكامل لا يحصل إلا به.

قال ابن تيمية: " والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها وحاجتهم اليها فوق حاجتهم إلى كل شيء والرسالة روح العالم ونوره وحياته فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور والدنيا مظلمة ملعونة الا ما طلعت عليه شمس الرسالة وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينابه من حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:122]، فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان وجعل له نورا يمشى به في الناس وأما الكافر فميت القلب في الظلمات.

وسمى الله تعالى رسالته روحا والروح اذا عدم فقد فقدت الحياة قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[الشورى:52] فذكر هنا الأصلين وهما الروح والنور فالروح الحياة والنور النور.

وكذلك يضرب الله الأمثال للوحي الذى أنزله حياة للقلوب ونورا لها بالماء الذى ينزله من السماء حياة للأرض وبالنار التي يحصل بها النور وهذا كما في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[الرعد:17] فشبه العلم بالماء المنزل من السماء لأن به حياة القلوب"[64]

(63) مجموع الفتاوى: 54/3

(64) مجموع الفتاوى: 94/19

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: القواعد التي استعملها أهل السنة في فهم السنة و أثره في إصابة الحق:

استعمل أهل السنة والجماعة قواعد توصل إلى الفهم الصحيح لنصوص الوحي وتقدم لنا أنه لا يمكن للعبد الوصول إلا بها كما أنه تعين على الاستفادة من النص قدر الطاقة كما تقدم، والقواعد كثيرة وسأذكر هنا ثلاث قواعد كان لها الأثر البالغ في فهم النص ومعرفة الحق:

القاعدة الأولى: "وجوب العمل بظاهر النصوص حتى يدل الدليل على أن الظاهر غير مراد"

قال الشافعي رحمه الله:"القرآن عربي...والأحكام فيه على ظاهرها، وعمومها ليس لأحد أن يحيل منها ظاهرا إلى باطن، ولا عاما إلى خاص إلا بدلالة من كتاب الله، فإن لم تكن فسنة رسوله ﷺ تدل على أنه خاص دون عام أو باطن دون ظاهر، أو إجماع من عامة العلماء الذين لا يجهلون كلهم كتابا ولا سنة، وهكذا السنة فلو جاز في الحديث أن يحال شيء منه عن ظاهر إلى معنى باطن يحتمله، كان أكثر الحديث يحتمل عددا من المعاني، ولا يكون لأحد ذهب إلى معنى منها حجة على أحد ذهب إلى معنى غيره، ولكن الحق فيها واحد، لأنها على ظاهرها وعمومه" [(65)].

قال ابن حزم: " وقد ذم الله تعالى قوما حملوا القرآن على غير ظاهره فقال تعالى ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾[النساء:46] فهذه صفتكم على الحقيقة الموجودة فيكم حسا فمن حمل القرآن على ما خوطب به من اللغة العربية واتبع بيان الرسول ﷺفالقرآن له هدي وشفاء ومن بدل كلمه عن مواضعه وادعى فيه دعاوي برأيه وكهانات بطنه وأسرار وأعرض عن بيان الرسول ﷺ المبين عن الله تعالى بأمره ومال إلى قول المنانية فهو الذي عليه القرآن عمى وبالله تعالى التوفيق"[(66)]

وقال الخطيب: "ويجب أن يحمل حديث رسول الله على عمومه وظاهره، إلا أن يقوم الدليل على أن المراد غير ذلك، فيعدل إلى ما دل الدليل عليه"[(67)]

وقال ابن القيم: "الواجب حمل كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، وحمل كلام المكلف على ظاهره الذي هو ظاهره، وهو الذي يقصد من اللفظ عند التخاطب، ولا يتم التفهيم والفهم إلا به، ومدعي غير ذلك على المتكلم القاصد للبيان والتفهيم كاذب عليه"[(68)]

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي:" والغالب الذي هو الأكثر هو كون نصوص الكتاب والسنة ظواهر، وقد أجمع جميع المسلمين على أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعي صارف عنه إلى المحتمل المرجوح، وعلى هذا كل من تكلم في الأصول. فتنفير الناس وإبعادهم عن كتاب الله

(65) الرسالة:ص 275
(66) الفصل في الملل والنحل:91/3
(67) الفقيه والمتفقه:539/1
(68) اعلام الموقعين:108/3

ISSN : 2410-1818

وسنة رسوله بدعوى أن الأخذ بظواهرهما من أصول الكفر هو من أشنع الباطل وأعظمه كما ترى، وأصول الكفر يجب على كل مسلم أن يحذر منها كل الحذر ويتباعد منها كل التباعد ويتجنب أسبابها كل الاجتناب، فيلزم على هذا القول المنكر الشنيع وجوب التباعد من الأخذ بظواهر الوحي"[69]

وهذه القاعدة دل عليها الكتاب والسنة والإجماع والعقل إذ لو لم يكن الواجب الأخذ بظاهر النصوص لم تكن النصوص مرجعا عند الاختلاف ولم يكن للشريعة دليل لإمكان القول في فهم النص بمختلف التأويلات.

ومن الأمثلة على استعمال القاعدة في فهم النص: نصوص الصفات كحديث نزول الله إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل وصفة اليد ونحوها يجب الإيمان بها على ما يليق بالله قال الخطابي بعد حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺقال: (ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) [70] "قلت: هذا الحديث وما أشبهه من الأحاديث في الصفات كان مذهب السلف فيها الإيمان بها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها"[71]

القاعدة الثانية: فقه الحديث فرع عن ثبوته:

فمن أراد أن يستدل بحديث فلا بد من التأكد من صحة الحديث أولا، وذلك أن الحديث الضعيف لا تؤخذ منه الأحكام ولذا نص العلماء على: " أن العمل بالحديث في مسائل فرع عن ثبوته"[72]، فلا تثبت الأحكام إلا بالأدلة الصحيحة، وهذا أمر متفق عليه عند العلماء؛ قال ابن تيمية:" ولم يقل أحد من الأئمة إنه يجوز أن يجعل الشيء واجباً أو مستحباً بحديث ضعيف، ومن قال هذا فقد خالف الإجماع"[73].

يقول ابن عثيمين في تقرير هذه المسألة: "وأما إذا لم يصح فقد كفينا إياه؛ ولهذا ينبغي لنا عند المناظرة والمجادلة أن نهدم الدليل من أصله قبل كل شيء، قبل المجادلة في معناه، فإذا لم يكن في القرآن ولا في السنة المعلومة الصحة، قلنا لمن أدلى به: نطالبك بصحة الدليل كما كان شيخ الإسلام ابن تيمية يجادل الرافضي في منهاج السنة بهذه العبارة أو ما يسوق كلام الرافضي يقول: الوجه الأول أننا نطالبك بصحة الدليل، وإذا لم يصح الأصل بقي الفرع، وهذه قاعدة قد بينه الإنسان إذا أورد عليه المجادل حديثا ربما أن هذا المجادل لا يعلم عن صحة الحديث فيظنه صحيحا ثم ينبهت، وما أكثر

(69) أضواء البيان: 40/5
(70) أخرجه البخاري برقم: (1083) ومسلم برقم: (1267)
(71): أعلام الحديث:637/1
(72): انظر فتح الباري: 19/4
(73): قاعدة جليلة:176

ISSN : 2410-1818

المجادلين أهل البدع، وأعني بذلك: أهل البدع الذين يأتون بالأحاديث الضعيفة، ولذلك أدمغ رءوسهم قبل كل شيء بالمطالبة بصحة النقل، ثم إذا ثبتت صحة النقل حينئذ نتكلم في المدلول" [74].

وكم ابتليت الأمة بمن يستدل بالأحاديث الضعيفة فيحدث في الدين ما ليس منه وكانت الأحاديث الضعيفة من أعظم أسباب انتشار البدع والخرافة، والأحاديث الضعيفة هي عمدة أهل البدع والضلال في الاستدلال كما سيأتي[75].

ومن ذلك ما استدل به أهل التطرف في تجويز المظاهرات ما روي عن ابن عباس قال: سألت عمر: لأي شيء سميت "الفاروق"؟ قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، ثم شرح الله صدري للإسلام فقلت: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فما في الأرض نسمة أحب إلي من نسمة رسول الله ﷺ، فقلت: أين رسول الله ﷺ؟ قالت أختي: هو في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا، فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوس في الدار ورسول الله ﷺ في البيت: فضربت الباب، فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر بن الخطاب، فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابي ثم نترني نترة فما تمالكت أن وقعت على ركبتي فقال: "ما أنت بمنته يا عمر" ! فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت: يا رسول الله! ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: "بلى" ! "والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم" ! قلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن فأخرجناه في صفين: حمزة في أحدهما وأنا في الآخر، له كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد، فنظرت إلي قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله يومئذ "الفاروق"، وفرق الله بي بين الحق والباطل"[76].

فجعلوا فعل الصحابة دليلا على المظاهرات والاحتجاجات، وهو أسلوب من أساليب الإنكار العلني على الحاكم، وهو معارض لأصول الشريعة التي جاءت بالصبر على الحاكم فعن ابن عباس: عن النبي ﷺ قال: (من كره من أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية) [77]، قال ابن بطال:" قال المؤلف: في هذه الأحاديث حجة في ترك الخروج على أئمة الجور، ولزوم السمع والطاعة لهم والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلّب طاعته لازمة، ما أقام الجمعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه ؛ لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء"[78]

(74): انظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام:312/1

(75): انظر: انظر التوضيح شرح الجامع الصحيح:37/1

(76): أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (40/1) من طريق إسحاق بن عبد الله عن أبان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس وهو ضعيف جدا انظر السلسلة الضعيفة برقم (6531)

(77) أخرجه البخاري برقم (6645) ومسلم برقم (1849)

(78) شرح ابن بطال:8/10

ISSN : 2410-1818

وقال ابن تيمية: " فجعل المحذور هو الخروج عن السلطان ومفارقة الجماعة، وأمر بالصبر على ما يكره من الأمير، لم يخص بذلك سلطانا معينا ولا أميرا معينا ولا جماعة معينة"[79]

فمن رأى من أميره شيئا يكرهه "دنيوياً كان كاستئثار عليه وظلم له أو دينياً كأن فسق بعد عدالته"[80] فلا يجوز الخروج عليه ولا التحريض على الخروج عليه، والمظاهرات محرمة من أوجه عديدة[81] تراجع في مظانها.

القاعدة الثالثة: جمع أحاديث المسألة مما يعين على معرفة الصواب فيها فلا يقتصر على بعضها، لأن السنة يبين بعضها بعضا قال: يحيى بن معين يقول: "لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه"، وقال أحمد:"الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه والحديث يفسر بعضه بعضا"[82] وقال ابن دقيق العيد: " والحديث إذا اجتمعت طرقه فسر بعضه بعضا"([83])، وقال ابن حجر:" المتعين على من يتكلم على الأحاديث أن يجمع طرقها ثم يجمع ألفاظ المتون إذا صحت الطرق ويشرحها على أنه حديث واحد فإن الحديث أولى ما فسر بالحديث"[84]

وهذا هو الحق فإن من النصوص ما يكون مجملا فيفسره الآخر أو مطلقا فيقيده، أو عاما فيخصصه، أو تشرح غريبه، وقد تزيد الروايات بعضها على بعض، فيؤخذ بالزائد؛ قال ابن دقيق العيد في الاستدلال بحديث المسيئ لصلاته:" على طالب التحقيق فيه أن يجمع طرق هذا الحديث ويحصي الأمور المذكورة فيه ويأخذ بالزائد فالزائد فإن الأخذ بالزائد واجب"[85].

وجمع أحاديث الباب في غاية الضرورة لفهم الحديث ومن أخل بذلك جانب الصواب ولا بد، وكم زل من اقتصر في فهم الحديث على بعض المرويات دون بعضها، وقد استدل من لا حظ له بحديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ :(سيليكم أمراء من بعدي يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى اللّه) [86]

---

(79) منهاج السنة:379/1

(80) دليل الفالحين:153/5

(81) انظر فتاوى اللجنة الدائمة 367/15 : والإجابات المهمة في المشاكل المدلهمة: (ص 100)

(82) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع:212/2

(83) أحكام الأحكام:152/1

(84) فتح الباري:475/6

(85) إحكام الأحكام:258/1

(86) قال الألباني: الحاكم (3 / 356) من طريق عبد الله بن واقد عن أبي الزبير عن جابر عن عبادة بن الصامت مرفوعا به. و قال الحاكم: " صحيح الإسناد ". و رده الذهبي بقوله: " قلت: تفرد به عبد الله بن واقد و هو ضعيف ". فقال المناوي عقبه: " و به يعلم أن رمز المصنف لحسنه غير حسن ". و قال العقيلي: " و قد روي في هذا رواية من غير هذا الوجه أصلح من هذه الرواية بخلاف هذا اللفظ ". و الحديث عزاه السيوطي للطبراني أيضا في الكبير. و لم أره في " المجمع " و لعل رمزه عليه بالحسن باعتبار

ISSN : 2410-1818

وعن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ويحدثون البدع. قلت: فكيف أصنع؟ قال: تسألني يابن أم عبد كيف تصنع؟ لا طاعة لمن عصى الله) [87]، وأمثال هذه الأحاديث المباركة على جواز الخروج على الحاكم العاصي، ولو جمع أحاديث الباب لتبين له معنى هذه الأحاديث ومراد المتكلم بها؛ إذ وجه هذه الأحاديث أن الحاكم إن أمر بالمعصية فإنه لا يطاع في أمره الذي أمر به في معصية الله، مع التزام طاعته فيما سوى ذلك وعدم نزع يد الطاعة منه و الخروج عليه ويبين ذلك أحاديث الباب الموجبة للزوم طاعة الإمام ولو رأينا منه ما نكره قال الأثرم: تأولهما أهل البدع فقالوا: ألا تراه يقول لا طاعة لمن عصى الله، فإذا عصى الله لم يطع في شيء، وإن دعا إلى طاعة. وإنما يرد المتشابه إلى المفسر، فما جعل هذا على ظاهره أولى بالاتباع من تلك الأحاديث بل إنما يرد هذا إلى ما بيّن معناه فقوله: "لا طاعة لمن عصى الله "، إنما يريد أنه لا يطاع في معصية كسائر الأحاديث[88].

الباب الثاني: منزلة النصوص الشرعية عند أهل البدع ومنهجهم في الاستدلال بها وفيه مبحثان

المبحث الأول: منزلة النصوص الشرعية عند أهل البدع

اتخذ أهل البدع من النصوص موقف المعارضة لها وذلك أن النصوص لا تدل إلا على الحق المعارض للباطل ولهذا فإن أهل البدع يتفقون على ردها وإن اختلفوا في طريقة الرد؛ قال ابن تيمية: "والبدع التي يعارض بها الكتاب والسنة التي يسميها أهلها كلاميات وعقليات وفلسفيات أو ذوقيات ووجديات وحقائق وغير ذلك لا بد أن تشمل علي لبس حق بباطل وكتمان حق وهذا أمر موجود يعرفه من تأمله فلا تجد قط مبتدعا إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها ويبغض من يفعل ذلك كما قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه"[89]

أن له طريقا أخرى عن عبادة فيها زيادة لم ترد في هذه الطريق و لذلك أوردتها في " السلسلة الأخرى " (1353)، و أما هذه فقد استخرت الله تعالى، فأوردتها هنا لتقويها بمجموع الطريقين. و الله الهادي إلى سواء السبيل. السلسلة الصحيحة 89/2

(87) قال الالباني أخرجه أحمد و ابنه (1 / 339 – 400) و ابن ماجه (2865)

و السياق له و الطبراني في " المعجم الكبير " (3 / 74 / 2) من طرق عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده عبد الله بن مسعود به. و لفظ الطبراني: " سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، و يحدثون البدع... " الحديث.قلت: و إسناده جيد على شرط مسلم.السلسلة الصحيحة 89/2

(88) ناسخ الحديث ومنسوخه:270

(89) درأ تعارض العقل والنقل:120/1. والقائل هو أحمد بن سنان القطان أخرج مقالته الحاكم في معرفة علوم الحديث:ص4، والهروي في ذم الكلام:72/2(229)

ISSN : 2410-1818

وقال ابن القيم: "إن المعارضين للوحي بالعقل بنوا أمرهم على أصل فاسد وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها وجعلوها أصول دينهم ومعتقدهم في رب العالمين هي المحكمة وجعلوا قول الله ورسوله هو المتشابه الذي لا يستفاد منه علم ولا يقين فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه ثم ردوا تشابه الوحي إلى محكم كلامهم وقواعدهم"[90].

فهذا حال أهل البدع يبغضون النصوص ويكتمونها لأنها حق وتدل على الحق الذي هو خلاف باطلهم

وكذا يكرهون أهل الحديث لأنهم نقلة الحديث؛ قال أبو نصر بن سلام الفقيه: "ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث، وروايته بإسناده.

وقال أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي :علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون بذلك إبطال الآثار، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة انظر هذه الآثار وغيرها في

فمنهج أهل الأهواء كافة أنهم يردون نصوص الوحي من القرآن والسنة إذا خالفت أهواءهم أو عارضت أصولهم وقواعدهم الباطلة.

قال محمد بن نصر:" لما لم توافق – أي النصوص -مذاهبهم، - أي المرجئة - ورأوا أنهم إن أقروا لزمتهم الحجة ووجب عليهم الانتقال عن مذاهبهم، لم يجدوا أمرًا أسهل عليهم من جحودها والكفر به "[91].

وقال الشاطبي: "ومنها ضد هذا، وهو ردهم للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدعون أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل، فيجب ردها:

كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة، وكذلك حديث الذباب وقتله، وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء، وأنه يقدم الذي فيه الداء، وحديث الذي أخذ أخاه بطنه فأمره النبي ﷺسقيه العسل.... وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول.

و ربما قدحوا في الرواة من الصحابة والتابعين عنهم ومن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم"[92]

وقال أبو المظفر السمعاني في بيان هذا الفرق المنهجي بين أهل السنة وبين أهل الأهواء فقال بعد كلامه عن منهج أهل السنة:"وأما سائر الفِرق فطلبوا الدين لا بطريقِهِ؛ لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم فطلبوا الدين من قِبله، فإذا سمعوا شيئًا من الكتاب والسنة عرضوه على معيار

(90) الصواعق المرسلة:990/3

(91) الاعتصام:294/1

(92) الاعتصام:294/1

ISSN : 2410-1818

عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم دوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة، والمعاني المستنكرة، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم وجعلوا السنة تحت أقدامهم تعالى الله عما يصفون "[93]

وقال الدارمي:" وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قال له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجون بها علينا في رد مذاهبنا، مما لا يمكن التكذيب بها؟ مثل: سفيان عن منصور عن الزهري، والزهري عن سالم، وأيوب وابن عون عن ابن سيرين، وعمرو بن دينار عن جابر، عن النبي ﷺوما أشبهها؟

قال: فقال المريسي: لا تردوه فتفتضحوا، ولكن غالطوهم بالتأويل فتكونوا قد رددتموها بلطف؛ إذ لم يمكنكم ردها بعنف"[94]

لذلك كان السلفُ يتهمُون كلَّ من تردّدَ في قبول الأحاديث الصحيحة أو ردَّ شيئاً منها :-

قال البربهاري:" وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها أو ينكر شيئا من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام؛ فإنه رجل رديء القول والمذهب، وإنما طعن على رسول الله ﷺ وأصحابه"[95] وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده، ويريد القرآن، فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة، فقم من عنده"[96]

والكلام في هذا يطول، و المراد أن أهل البدع يردون النصوص ولا يقبلونها، وإنما يستدلون بما وافق أهواءهم منها، وأما ما خلف بدعتهم فإنهم إما أن يتأولوه على غير ظاهره أو يردوه؛ ودعاويهم لترك العمل بالأحاديث الصحيحة متعددة ؛ قال ابن القيم:" وجاء أفضل متأخريهم فنصب على حصون الوحي أربعة مجانيق:

الأول: أنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين.

الثاني: أنها مجازات واستعارات لا حقيقة لها.

الثالث: أن العقل عارضها فيجب تقديمه عليها.

الرابع أنها أخبار آحاد وهذه المسائل علمية فلا يجوز أن يحتج فيها بالأخبار ولهذا تجد كثيرا من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية أو إظهارها وإشاعتها وقد يشترطون في أماكن يقفونها أن لا يقرأ فيها أحاديث الصفات وكان بعض متأخريهم وهو أفضلهم عندهم كلف بإعدام كتب السنة المصنفة في الصفات وكتمانها وإخفائها وبلغني عن كثير منهم أنه كان يهم بالقيام والانصراف عند ختم صحيح البخاري وما فيه من التوحيد والرد على الجهمية وسمع منه الطعن في محمد بن إسماعيل

(93) الانتصار لأصحاب الحديث:44

(94) نقض الدارمي على بشر المريسي:868/2

(95) شرح السنة:ص79

(96) شرح السنة:ص119

ISSN : 2410-1818

وما ذنب البخاري وقد بلغ ما قاله رسول الله وقال آخر من هؤلاء لقد شان البخاري صحيحه بهذا الذي أتى به في آخره ومعلوم أن هذه مضادة صريحة لما يحبه الله ورسوله من التبليغ عنه حيث يقول ليبلغ الشاهد الغائب

وقال بلغوا عني ولو آية وقال نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه...." [97] إلى أخر ما قال

مما تقدم يتضح لنا جليا أن أهل البدع يفرون من النصوص ويأبون الاستدلال بها، لكن الناظر في كتبهم ومناظراتهم يرى استعمالهم للأدلة، وحقيقة هذا الاستدلال أنه لنصرة البدعة لا لأجل العمل بالحق وذلك أن أهل البدع أصلوا أصولا وقالوا أقوالا مبتدعة ثم فتشوا عما يقوي بدعتهم فاستدلوا به ولم يكن مرادهم ما دلت عليه النصوص من الحق ؛ عن أبي حمزة الأعور ، قال: لما كثرت المقالات بالكوفة أتيت إبراهيم النخعي فقلت: يا أبا عمران، أما ترى ما ظهر بالكوفة من المقالات ؟ فقال: أوه، دققوا قولا، واخترعوا دينا من قبل أنفسهم، ليس من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: هذا هو الحق، وما خالفه باطل، لقد تركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم، إياك وإياهم"[98]

قال وكيع"من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة، ومن طلبه ليقوي به رأيه فهو صاحب بدعة[99]

ولهذا قال الشاطبي: "يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة، فهم يطلبون به أهواءهم لحصول الفتنة، فليس في نظرهم إذًا في الدليل نظر المستبصر حتى يكون هواه تحت حكمه، بل نظر من حكم بالهوى، ثم أتى بالدليل كالشاهد له فهو إنما طلب في الأدلة ما يصحح هواه"[100]

وفي استدلالهم خلل كبير؛ لأن الاستدلال بالنص يحتاج لأمرين: معرفة صحته، ثم وجه الاستدلال به، وهذا يحتاج لأمرين الأول المعرفة بكلام العرب ثم المعرفة بأصول الشريعة وقواعدها وكلياتها ومقاصدها وهذا ما يفتقره المبتدع، قال الشاطبي: "كل مبتدع من هذه الأمة: إما أن يدعي أنه هو صاحب السنة دون من خالفه من الفرق، فلا يمكنه الرجوع إلى التعلق بشبهها، وإذا رجع إليها؛ كان الواجب عليه أن يأخذ الاستدلال مأخذ أهله العارفين بكلام العرب وكليات الشريعة ومقاصدها؛ كما كان السلف الأول يأخذونها.

(97) الصواعق:1039/3

(98) أخرجه أبو نعيم في الحلية برقم: (5651)

(99) أخرجه البخاري في قرة العينين برفع اليدين:ص37

(100) الاعتصام:183/1 بتصرف يسير

ISSN : 2410-1818

إلا أن هؤلاء ـ كما يتبين بعد ـ لم يبلغوا مبلغ الناظرين فيها بإطلاق: إما لعدم الرسوخ في معرفة كلام العرب والعلم بمقاصدها، وإما لعدم الرسوخ في العلم بقواعد الأصول التي من جهتها تستنبط الأحكام الشرعية، وإما لعدم الأمرين جميعا، فبالحري أن تصير مآخذهم للأدلة مخالفة لمأخذ من تقدمهم من المحققين للأمرين"[101].

المبحث الثاني: طريقة أهل البدع في الاستدلال بالنصوص وأثره في الوقوع في التطرف

المطلب الأول: طريقة أهل البدع في الاستدلال بالنصوص

وإذا تتبعت حالهم تجد أن استدلالهم بالنصوص لا يخرج من أحوال:

الحالة الأولى الاستدلال بالنص لأجل المعارضة وإظهار الاضطراب وإبطال الاستدلال بالنصوص وإظهار عدم الوثوق بها، قال الشاطبي رحمه الله: "ومنه دعاوى أهل البدع على الأحاديث الصحيحة: مناقضتُها للقرآن أو مناقضةُ بعضِها بعضاً، وفسادُ معانيها أو مخالفتُها للعقول كما حكمُوا بذلك في حديث (التغريبُ عام والرجمُ) قالوا: هذا مخالفٌ لكتاب الله لأنه قضى بالرجم والتغريب، وليس لذلك في كتاب الله ذكرٌ، فإن كان الحديثُ باطلاً فهو ما أردنا، وإن كانَ حقاً فقدْ ناقض كتاب اللهِ بزيادة الرجم والتغريب"[102]

وقال أيضا: "ولكن الجميع - يعني أهل البدع المحكمين لعقولهم - بقوا على تحكيم العقول، ولو وقفوا هنالك لكانت الداهية على عظمها أيسر، ولكنهم تجاوزوا هذه الحدود كلها إلى أن نصبوا المحاربة لله ورسوله، باعتراضهم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وادعائهم عليهما من التناقض والاختلاف ومنافاة العقول وفساد النظم ما هم له أهل.

قال العتبي: وقد اعترض على كتاب الله تعالى بالطعن ملحدون، ولغوا وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلم عن مواضعه، وعدلوا به عن سبيله، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن، وفساد النظم والاختلاف، وأدلوا بذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحديث الغر، واعترضت بالشبهة في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور.." [103]

ولهذا حذر النبي ﷺمن هذا ففي المسند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب أن لي به حمر النعم أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺجلوس عند باب من أبوابه فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى

(101) الاعتصام:281/1

(102) الاعتصام:313/1

(103) الاعتصام:779/2

ISSN : 2410-1818

ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله ﷺ مغضبا قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول مهلا: (يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضا ببعض إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه) [104] ؛ قال ابن تيمية: " هذا حديث محفوظ عن عمرو بن شعيب رواه عنه الناس وقد كتب أحمد في رسالته إلى المتوكل هذا الحديث وجعل يقول لهم في مناظرته يوم الدار" إنا قد نهينا أن نضرب كتاب الله بعضه ببعض" وهذا لعلمه رحمه الله بما في خلاف هذا الحديث من الفساد العظيم"[105]

الحالة الثانية يستعملون النصوص لأجل التلبيس على الناس فيستدلون بالمتشابه من النصوص بما يوافق بدعتهم؛ أي أنهم يعمدون إلى أحاديث محتملة في معناها وهي ما يسمى بالمتشابه، فيطوعون معانيها إلى بدعتهم والواجب رد هذه المشتبهات إلى المحكمات لتتفق مع النصوص ولا تخالفها، لكن كما علمنا فإن أهل البدع لا يريدون الحق في استعمالهم للنصوص، بل يريدون فتنة الناس والتلبيس عليهم، والشبه سلاح كل مخالف لدين المرسلين يريدون بها تلبيس الباطل بالحق وإغواء الناس، ولذا حذرنا النبي ﷺ منهم؛ فعن عائشة قالت: تلا النبي ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:7], قالت: قال رسول اللّه ﷺ: (فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ) [106] فأهل البدع (يتبعون ما تشابه منه) أي: من الكتاب الذي هو القرآن ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها طلباً أن يفتنوا الناس عن دينهم[107]

قال الإمام أحمد:" كان جهم وشيعته كذلك دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم كثيرا"[108]

(104) أخرجه أحمد برقم: (6527)

(105) اقتضاء الصراط المستقيم:42

(106) صحيح البخاري: (103/11).

(107) انظر عمدة القاري:16/27.

(108) اجتماع الجيوش الإسلامية:128.

ISSN : 2410-1818

وقال أيضا عن أهل البدع:" عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين"[109]

قال ابن رجب:" والذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله, فيضربون كتاب الله بعضه ببعض, ويردون المحكم, ويتمسكون بالمتشابه ابتغاء الفتنة, ويحرفون المحكم عن مواضعه, ويعتمدون على شبهات وخيالات لا حقيقة لها, بل هي من وسواس الشيطان وخيالاته, يقذفها في القلوب".[110]

وعامة استدلالاتهم على بدعهم هي من هذا النحو، ولذا نجد العلماء يكتبون ويصنفون في زيف استدلالهم وبيان باطلهم.

الحالة الثالثة الإيمان ببعض الكتاب و الكفر ببعضه؛ فيأخذون من النصوص ما يوافق أهواءهم ؛قال ابن تيمية: "كما تجدهم أيضا في النصوص النبوية كل منهم يقبل منها ما وافق قوله ويرد منها ما خالف قوله وإن كان المردود من الأخبار المقبولة باتفاق أهل العلم بالحديث والذي قبله من الأحاديث المكذوبة باتفاق أهل العلم والحديث"

وقال أيضا: " وهذه حال أهل البدع والأهواء الذين يسمون ما وافق آراءهم من الكتاب والسنة محكما وما خالف آراءهم متشابها , وهؤلاء كما قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ* وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ*وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ* أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[النور وكما قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾[البقرة:85] وكما قال تعالى ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[المؤمنون:53]

ويقول الشاطبي: "من اتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها أو في العمومات من غير تأمل؛ هل لها مخصصات أم لا؟ وكذلك العكس؛ بأن يكون النص مقيدا فيطلق، أو خاصا فيعم بالرأي من غير دليل سواه: فإن هذا المسلك رمي في عماية، واتباع للهوى في الدليل".[111]

(109) الرد على الزنادقة والجهمية:6.

(110) تفسير ابن رجب:584/2.

(111) الاعتصام:312/1.

ISSN : 2410-1818

وتارة يكون الرد بحجة تقديم القرآن على غيره أو المتواتر على الآحاد ونحو ذلك من الاعتراضات وليس لهم في ذلك قاعدة مستمرة بل القاعدة العامة في ذلك الاستدلال بما وافق رأيهم وأيد بدعتهم وإلا فكم أية ردوا وكم حديثاً واهيا قدموا كما تقدم.

الحالة الرابعة الاستدلال بالأحاديث الضعيفة بل الواهية والموضوعة؛ قال ابن تيمية: " كما تجدهم أيضا في النصوص النبوية،كل منهم يقبل منها ما وافق قوله، ويرد منها ما خالف قوله، وإن كان المردود من الأخبار المقبولة باتفاق أهل العلم بالحديث والذي قبله من الأحاديث المكذوبة باتفاق أهل العلم والحديث "[112]

وقال الشاطبي في ذكر طرق مخالفة أهل البدع لأهل الحق:"اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوب فيها على رسول الله ﷺ والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها: كحديث الاكتحال يوم عاشوراء، وإكرام الديك الأبيض، وأكل الباذنجان بنية، وأن النبي ﷺ تواجد واهتز عند السماع حتى سقط الرداء عن منكبيه... وما أشبه ذلك"[113].

ولهذا أمثلة كثير كمن يستدل بحديث توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم وحديث وكاستدلال الحركيين المعاصرين على المظاهرات بخروج عمر وحمزة في صفين على قريش

وفي المقابل تضعيف حديث حذيفة بن اليمان قلت يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر قال نعم. قلت هل وراء ذلك الشر خير قال (نعم). قلت فهل وراء ذلك الخير شر قال (نعم). قلت كيف قال (يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس). قال قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك قال (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع).[114]

الحالة الخامسة أنهم يفسرون النصوص بمقتضى قواعدهم التي قعدوها أو المعاني التي اصطلحوا عليها،قال ابن تيمية: "وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعا لهم فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم ويقولون: نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة يعنون أنهم يعتقدون معنى بعقلهم ورأيهم ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه ولهذا قال الإمام أحمد: أكثر ما يخطئ

(112) بيان تلبيس الجهمية:326/1.

(113) الاعتصام:312/1.

(114) أخرجه مسلم:4891

ISSN : 2410-1818

الناس من جهة التأويل والقياس. وقال: يجتنب المتكلم في الفقه هذين الأصلين المجمل والقياس وهذه الطريق يشترك فيها جميع أهل البدع الكبار والصغار"[115]

وهذا كالتحريف الذي وقع فيه أهل الكتاب يحرفون الكلم عن مواضعه كما أخبر ربنا عنهم

قال الشاطبي في ذكر طرق مخالفة أهل البدع لأهل الحق:"بأن يرد الدليل على مناط، فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر؛ موهما أن المناطين واحد، وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله".[116].

وقال ابن تيمية:" وقال تعالى في صفة المغضوب عليهم ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[النساء:46]، ووصفهم بأنهم: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾[آل عمران:78] والتحريف قد فسر بتحريف التنزيل وبتحريف التأويل، فأما تحريف التأويل فكثير جدا وقد ابتليت به طوائف من هذه الأمة، وأما تحريف التنزيل فقد وقع فيه كثير من الناس يحرفون ألفاظ الرسول ويروون أحاديث بروايات منكرة وإن كان الجهابذة يدفعون ذلك وربما تطاول بعضهم إلى تحريف التنزيل وإن لم يمكنه ذلك كما قرأ بعضهم وكلم الله موسى تكليما".[117]

المطلب الثاني: القواعد التي أخل بها أهل البدع في فهم السنة وأثره في الوقوع في التطرف

مما تقدم يتضح لنا أن أهل البدع لا يعتمدون على نصوص الوحي في استدلالاتهم إلا بما يوافق أهواءهم، ولا شك أن الأدلة لا تدل على الباطل بحال كما تقدم، ولذا نجد أنهم حينما يستدلون بالأدلة يخطئون في فهم النص بسبب إخلالهم بالقواعد التي قررها أهل العلم في فهم النصوص، ولما أساؤوا فهم النص حين جعلوه دالا على باطلهم، وهيهات أن يكون كذلك. وتقدم لنا بعض القواعد التي استعملها العلماء في فهم النصوص وكيف أن عدم استعمالها يسبب خلل في الفهم، وسأذكر قاعدة أخرى أخلوا بها في فهم النص؛ مما كان له الأثر في الانحراف في فهم النص:

وهي: **قاعدة:يجب فهم النصوص وفق فهم السلف الصالح**، وذلك أن السلف الصالح أسلم الناس طريقة وأصوبهم فقها وأوسعهم علما وأعرفهم بمقاصد الشريعة، فكان فهمهم للنصوص مرجعا وحكما؛ دل

(115) مجموع الفتاوى: 355/17

(116) الاعتصام:317/1.

(117) اقتضاء الصراط المستقيم:8.

ISSN : 2410-1818

على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا}[النساء:115]

ودلت السنة على ذلك؛ قال الألباني: " فمن الأحاديث المعروفة الثابتة التي تؤصل ما ذكرت - وقد أشرت إليها آنفا - حديث الفرق الثلاث والسبعين ألا وهو قوله ﷺ: [افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة] قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: (الجماعة) وفي رواية: (ما أنا عليه وأصحابي)؛ فنجد أن جواب النبي ﷺ لتقي تماما مع الآية السابقة: { وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ }[النساء:115]. فأول ما يدخل في عموم الآية هم أصحاب الرسول ﷺ "[118]

ويدل لذلك أيضا حديث أبى بردة عن أبيه قال صلينا المغرب مع رسول الله -ﷺ- ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء - قال - فجلسنا فخرج علينا فقال « ما زلتم ها هنا ». قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء قال « أحسنتم أو أصبتم ». قال فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء فقال: (النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) [119].

قال النووي:" (وأصحابي أمنة لأمتي فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه"[120]

وقال ابن عباس حينما ناظر الخوارج وهو يبين فضل الصحابة ومنزلتهم في الفقه والعلم: " جئتكم من عند أصحاب رسول الله -ﷺ- وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله -ﷺ- وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله"[121]

فالصحابة ومن سار على طريقهم أعلم بالنصوص ومعانيها ومقاصد الشريعة من غيرهم، ولذا كان فهمهم أقرب للصواب، فهم حجة في تفسير النصوص؛ قال الشافعي: "هم أدَّوْا إلينا سنن رسول الله، ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله، ﷺ، عامًّا وخاصًّا، وعَزْماً وإرشاداً.

(118) فتنة التكفير :ص 3

(119) أخرجه مسلم برقم: (6629)

(120) شرحه على صحيح مسلم:83/16

(121) جامع بيان العلم وفضله:209/2

ISSN : 2410-1818

وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمرٍ استدرك به علم واستنبط به. وآراؤهم لنا أَحْمَدُ وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا. والله أعلم"[122].

قال الشاطبي: "ظواهر الأدلة إذا اعتبرت من غير اعتماد على الأولين فيها مؤدية إلى التعارض والاختلاف وهو مشاهد معنى، ولأن تعارض الظواهر كثير مع القطع بأن الشريعة لا اختلاف فيها. ولذلك لا تجد فرقة من الفرق الضالة ولا أحدا من المختلفين في الأحكام لا الفروعية ولا الأصولية يعجز عن الاستدلال على مذهبه بظواهر من الأدلة، وقد مر من ذلك أمثلة، بل قد شاهدنا ورأينا من الفساق من يستدل على مسائل الفسق بأدلة ينسبها إلى الشريعة المنزهة..." ثم قال: " فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به؛ فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل"[123]

فالرجوع إلى فهم السلف والسير على طريقهم هو سبيل النجاة والسلامة من البدع وسلوك الاستقامة ومجانبة التطرف، في جميع أبواب الدين، فهم وسط في باب العبادات بين الغلاة الذين ابتدعوا في الدين ما ليس منه وبين المفرطين الذين ضيعوا حدود الله؛ عن إسحاق بن سويد قال: "تعبد [124] عبد الله بن مطرف[125] فقال له مطرف[126]: يا عبد الله العلم أفضل من العمل، والحسنة بين السيئتين، وخير الأمور أوساطها، وشر السير الحقحقة[127]"[128]. وهم وسط في الأسماء والألقاب في يسارعون في وصف الناس بالكفر أو البدعة، وإنما يكفرون من كفره الله ورسوله فلهم في ذلك شروط، وهم وسط في التعامل مع الحكام فهم لا يرون الخروج على الحكام وتأليب الناس عليهم والجهر بمناصحتهم بل يسعون للاجتماع على الحاكم والأمر بطاعته مع بذل النصح له سرا وبيان الصواب وحثه على الخير والصلاح؛ قال أبو وائل: قيل لأسامة – يعني ابن زيد - لو أتيت فلانا – يعني عثمان – فكلمته، قال إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، إني أكلمه في السر دون أن أفتح بابا لا أكون من فتحه"[129] نعم إن الإنكار على الحاكم علنا سبب لفساد عظيم وفتن كبرى ولذا فإن البخاري أخرج هذا الأثر

---

[122] مناقب الشافعي:442/1

[123] الموافقات:289/3

[124] اشتغل بالعبادة

[125] عبد الله بن الشخير العامري أبو جزء البصري من أواسط التابعين صدوق.التقريب(3649)

[126] مطرف بن عبد الله بن الشخير أبو عبد الله البصري من كبار التابعين ثقة عابد فاضل ت95 التقريب (6751).

[127] الحقحقة: السير الشديد المتعب. تهذيب اللغة:383/3

[128] شعب الإيمان:467/7(3605) من طريق ابن علية عنه.

[129] شعب الإيمان:467/7(3605) من طريق ابن علية عنه.

ISSN : 2410-1818

في كتاب الفتن وبوب عليه بباب "الفتن التي تموج موج البحر" وصدق رحمه الله فإن فتنة الخروج على السلطان فتنة عظيمة مهلكة ولذا قرر السلف في كتب العقائد وجوب السمع والطاعة للإمام وعدم الخروج عليه قال أبو عثمان الصابوني أبو عثمان الصابوني (ت 499 هـ) " ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا، ويرون الدعاء لهم بالتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف" [130] ومن ذلك المظاهرات والإضرابات والاعتصامات والانقلابات كله محرم لا يجوز وهو من الخروج عن طاعة السلطان الواجبة فليس الخروج فقط قتال الحكام بالسيوف بل كل مظهر من مظاهر معارضة الحاكم علنا أو التأليب عليه يعد خروجا عن طاعته قال عبد الله بن محمد أبو محمد الضعيف، " قعد الخوارج هم أخبث الخوارج"([131]) ، قال ابن حجر: " والقعدية الذين يزينون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك"[132].

فالسلف الصاح ومن سار على نهجهم فهموا النصوص وأنزلوها منازلها فجمعوا بين وجوب طاعة ولي الأمر، ووجوب إنكار المنكر، فالتزموا طاعة ولي الأمر في غير معصية الله، وحثوا الناس على السمع والطاعة ورأوا أن هذا من الواجبات، وأنكروا على الإمام سرا من غير أن يفتحوا باب شر على الأمة وهذا الذي أمر به النبي ﷺ فعن عوف بن مالك الأشجعي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ». قالوا قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك قال « لا ما أقاموا فيكم الصلاة لا ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولى عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة» [133]. فأمر النبي ﷺ مع هؤلاء الأئمة مع ارتكابهم للمعاصي بأمرين وهما لزوم السمع والطاعة مع بغض هذه المعاصي وبهذا تتحقق المصلحة وتقوم الشريعة.

---

[130] عقيدة أصحاب الحديث " ص106

[131] مسائل أبي داود للإمام أحمد:362

[132] فتح الباري: 459/1

[133] أخرجه مسلم برقم: (4911)

ISSN : 2410-1818

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج لتوصيات

نتائج البحث

بعد عرض ما تقدم نخلص للنتائج الآتية:

1- إن علم قواعد فهم السنة من أهم علوم السنة التي عني بها السلف لعظيم أهميته

2- تعريف علم قواعد فهم السنة باعتبارين مؤداهما أنه: **"معرفة الأصول التي أصلها أهل الاختصاص والتي تعين الناظر في النص النبوي على فهم المراد منه، وضبط هذا الفهم من الانحراف مع الاستفادة قدر الإمكان منه"**.

3- تعظيم أهل السنة لنصوص الوحي.

4- إن لقواعد فهم السنة أثر كبير في ضبط فهم السنة وصيانتها من التخبط في الاستدلال بها.

5- إن طريقة أهل البدع رد السنة وعدم الاستدلال بها إلا حين تخدم آراءهم.

6- سوء فهم أهل البدع للنصوص، أدى بهم لسوء الظن بالنص.

7- لم يسير أهل البدع على الطريقة السوية في فهم النصوص فانحرفوا في فهمهم الأمر الذي أدى إلى التطرف

التوصيات:

من خلال البحث تتضح أهمية دراسة القواعد المعينة على فهم السنة والعناية بالدراسة التأصيلية لكل قاعدة مع بيان معناها وضوابطها وأمثلتها وآثار الإخلال بها

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ISSN : 2410-1818

مصادر البحث ومراجعه:

1- إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم, طبعة:دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م.

2- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ), حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط, طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988م.

3- بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية بتحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد, طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة الطبعة الأولى, 1416 – 1996م.

4- تفسير القرآن العظيم لأبب الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) بتحقيق سامي بن محمد سلامة, طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع.

10- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني بتحقيق محمد عوَّامة طبعة دار الرشيد بحلب الطبعة الأولى 1406هـ.

11- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) بتحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي, محمد عبد الكبير البكري, طبعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب عام 1387 هـ.

12- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) بتحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق, طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

13- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه= صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي, بتحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر, طبعة دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي), الطبعة: الأولى، 1422هـ.

14- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري, طبعة دار الجيل بيروت, دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

ISSN : 2410-1818

15- الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) بتحقيق: بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة: 1998 م.

16- الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1271 – 1952م.

17- زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان الطبعة: الثالثة، 1406هـ/1986م.

18- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

19- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق: مكتب تحقيق التراث، طبعة دار المعرفة ببيروت الطبعة: الخامسة 1420هـ.

20- سنن ابن ماجة للحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه 207 - 275 هـ. تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الفكر - للطباعة والنشر والتوزيع.

21- شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي بتحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، 1410هـ.

22- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ) بتحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.

23- عقيدة السلف وأصحاب الحديث لإسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني بتحقيق ناصر بن على الجديع طبعة دار العاصمة سنة النشر1419هـ.

24- غريب الحديث المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم، مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1404 هـ - 1984م.

ISSN : 2410-1818

25- الفوائد للإمام الجليل شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، المعروف بابن القيّم بتحقيق: ماهر منصور عبد الرزاق كمال علي الجمل.

24- فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى: 1031هـ) طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى 1415 هـ - 1994 م.

25- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي, طبعة دار المعرفة - بيروت, 1379, طبعة دار الشروق. سنة: 1423- الطبعة: الأولى 2002م.

26- الفوائد لأبي القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي الرازي ثم الدمشقي (المتوفى: 414هـ) بتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي, طبعة مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الأولى، 1412هـ.

27- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ), طبعة دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة- 1414 هـ.

28- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العبَّاس أحمَدُ بنُ الشيخِ المرحومِ الفقيهِ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ, الأنصاريُّ القرطبيُّ, رحمه الله وغَفَر له.بتحقيق: محي الدين ديب- أحمد محمد السيد- يوسف علي بديوي- محمود إبراهيم بزال. طبعة دار ابن كثير-دار الكلم الطيب بيروت. الطبعة الأولى سنة: 1417-1996م.

29- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله, طبعة دار الكتب العلمية – بيروت.

30- المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ), طبعة مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر الطبعة: الأولى، 1332 هـ.

31- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، 1392هـ.

32- المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبدالله أبي عبدالله الحاكم النيسابوري بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا, طبعة دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى, 1411 – 1990م.

ISSN : 2410-1818

33- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) بتحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي, طبعة دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م.

34- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ) بتحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9)وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18), طبعة مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

35- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) بتحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون وإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي, طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

36- النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بتحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي, طبعة المكتبة العلمية - بيروت, 1399هـ - 1979م.

37- الوابل الصيب من الكلم الطيب لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) بتحقيق: سيد إبراهيم, طبعة دار الحديث- القاهرة رقم الطبعة: الثالثة، 1999 م.